رؤية سورية

مجلة - شهرية - مستقلة

السنة الرابعة – العدد 40 – شباط/ فبراير 2017

أكثر من 600 طفل

يقطنون الخيام في مخيم

زيزون بين الموت والحياة

روج آفا

قلق التسمية وأحادية

التفكير

سوريا . .

التناغم أو التنافس بين الانتداب

الروسي والاستحواذ الإيراني

ما بعد الاستانا

ولاية الفقيه

طريقان مسدودان ولكن...

جميع الخيارات التي اختاها نظام الأسد حتى هذه اللحظة، أثبت فشلها بامتياز. فهو من أجل الاستمرار في حكم سوريا، دمّر سوريا، وشتت شعبها وقتل واعتقل مئات الآلاف من خيرة شبابها. وارتكب جناية اقتصادية على الأجيال القادمة، حتى ليقال إن كل مولود سيولد وهو يحمل الجنسية السورية عليه دين يزيد عن 50 ألف دولار. وبعد أن صار القرار السوري بالكامل بيد غير السوريين، ولم يعد حتى الأسد يتمتع بحكم هذه الجمهورية الصغيرة التي لم يحافظ عليها كالرجال.

اليوم أمامه طريقان، يصر على أن يفشل في المضي فيهما معاً. الطريق الأول هوالتفاوض مع قوى الثورة السورية من أجل مستقبل سوري ننقذ فيه البلاد والعباد. والثاني مواصلة الحرب على الشعب، والتي لن يخمّن أحدٌ إلى أين ستصل؟ ومتى ستوقف؟

طريق التفاوض لن يفضي إلى مسامحة الأسد والقبول به كرئيس لسوريا من جديد. وطريق الحرب قد يودي به في أي لحظة. وكان بإمكانه أن يختصر هذا كله، لو نظر إلى الأمام بعين حكيمة. ولكنه لم يفعل. والأوان قد فات على هذا الآن. لكن الذين يمشون خلف الأسد سواء في طائفته أو في ما تبقى من هياكل الدولة، ما زال لديهم متسع من الوقت لتدارك الارتطام بحائط في آخر طريقي الأسد الأسودين.

وهؤلاء في نهاية الأمر، من شعبنا، ونريدهم معنا في المستقبل. ولذلك عليهم أن يعيدوا النظر في الشرخ الكبير الذي تسبب له خوفهم من التغيير، وترددهم أمام الحرية. وعليهم واجب تاريخي أمام أبنائهم وأحفادهم أن يختاروا لسوريا مستقبلاً غير الذي رسمه لها الأسد، لا دمار ولا خراب فيه ولا سجون ولا موت.

6 أكثر من 600 طفل
فراس اللباد

10 ما بعد استانا
د. رياض نعسان آغا

12 سوريا .. التناغم أو التنافس
د. خطار أبو دياب

16 الهوية الوطنية
إبراهيم الجبين

24 ولاية الفقيه
جبر الشوفي

28 روج آفا
محمد المطرود

32 من أين جاء العنف
سعد الربيع

38 حمص بعيون فرنسية
بسام سفر

60 بين الحبر والدم
محمد صارم

64 حميد دباشي
غسان ناصر

76 لؤي كيالي
فاضل السباعي

80 مابين شاطئين
نجم الدين سماء

90 مالك بني نبي
باسل الحمصي

سورية رؤية

السنة الرابعة - العدد 40
شباط / فبراير 2017

تصدر عن بناة المستقبل
برعاية
م.وليد الزعبي

ترحب المجلة بالمقالات والآراء والدراسات والنصوص الأدبية التي تتناول الشأن السوري وترصد حاضر الثورة السورية ومستقبلها

ترسل المواد إلى العناوين الإلكترونية للمجلة :

@bof_sy
bof-sy.com
fb.com\bof.sy
info@bof-sy.com

التصميم و الإخراج :
القسم الفني
في مجلة رؤية سورية

جميع الحقوق محفوظة
ويسمح بالنسخ والنقل وإعادة النشر مع الاشارة إلى المصدر

الآراء والمقالات المنشورة لاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة

أكثر من « 600 » طفل

يقطنون الخيام في مخيم زيزون بالجنوب السوري بين الموت والحياة

فراس اللباد

يعتبر مخيم زيزون في الجنوب السوري بمحافظة درعا من أكبر المخيمات،ويحوي على أكثر من ٥٥٠ عائلة من مختلف المناطق السورية حيث لجأ عدد كبير من النازحين في مخيم زيزون إلى بناء بيوت من الطين بعد اهتراء خيامهم نتيجة العوامل الجوية والمناخية التي تمر على المنطقة، وعدم وجود بدائل لها دون أي اكتراث من قبل مؤسسات المعارضة السورية العاملة في الجنوب السوري.

في ذات السياق قال" احد أعضاء المجلس المحلي بمحافظة درعا والذي فضل عدم ذكر اسمه" أنه بالنسبة لمخيم زيزون لإيواء المهجرين هو من المخيمات المدرجة لايواء المهجرين ضمن جداول وبيانات مجلس محافظة درعا،فقد أعطى مجلس محافظة درعا هذا المخيم وغيره من المخيمات على أرض محافظة درعا الأهتمام الكافي ،ولكن نقص الأمكانات والدعم المالي له أثر واضح في تقديم المساعدات .

وتابع، منذ فترة بسيطة أنهى المكتب الاغاثي في مجلس محافظة درعا مشروع إغاثي بإسم فزعة الجنوب لإغاثة المنكوب وتم تقديم «مادة التفل» للعائلات المهجرة في هذا المخيم بالكامل.

حال الناس هنا تبكي البشر والحجر، لا توجد خدمات نظافة ولا صحة، الطعام والشراب قليل جداً، وكل فترة يأتون إلينا بكرتونة صغير لا تطعم الأولاد خمسة أيام.

من جهته، قال مدير المكتب الإعلامي في مخيم زيزون "أبو مصعب" إن غلاء الأسعار أجبر الناس على بناء بيوت من التراب والتبن وبعض ألوح الخشب والزينكو كأسقف لتحمي الناس من الأجواء الباردة والأمطار بالأضافة إلى شح في الدعم من قبل المنظمات الإغاثية لهذا المخيم لأن الناس بحاجة ماسة

للمساعدة ،ونقص في الغذاء والدواء

وأضاف "أبو مصعب" ، أن اللجنة القائمة على شؤون المخيم تواصلت مع العديد من المنظمات الإغاثية العاملة في الجنوب السوري، لتقديم المساعدات الشتوية، والتي استجابت بخجل وأرسلت القليل من المواد الإغاثية، ولم تقدم أياً منها مساعدات شتوية"، منوهاً إلى "التواصل مع مجلس محافظة درعا، الذي أشرف بدوره على حملات النظافة فقط".

ولفت "أبو مصعب" إلى سوء الطرقات الفاصلة بين الخيام وحاجتها إلى التعبيد، عدا عن نقص حليب الأطفال وارتفاع سعره في حال تواجده، مطالباً المنظمات الإغاثية بالتدخل السريع قبل حلول الشتاء

فيما قال ، "خلدون الشامي" نازح من ريف دمشق، قمت ببناء منزل من الطين والقش وهو عبارة عن غرفة سكنية وحمام ومطبخ صغير ،وقمت أيضا» بوضع الألواح من الخشب والشوادر للسقف ،لأن خيمتي غرقت بالأمطار العام الماضي، وبمساعدة الأهالي تمكنت من ترميمها بقطع من القماش والأعمدة الخشبية حتى انتهى الشتاء. الأمر الذي دفعني لبناء منزل من الطين يقيني من برد الشتاء ولا يتهدم بسرعة كالخيمة.

وأضاف، أنه لم تنتشر البيوت الطينية في المخيم بشكل كبير فهي على الرغم من كونها أفضل من الخيم والأرخص سعراً، إلاّ أنها بحاجة لترميم مستمر ولتوافر المال اللازم لتأمين مستلزمات البناء، والناس في المخيم تعاني من فقر مدقع وبالكاد تستطيع تأمين ثمن الخبز لأطفالها.

أما أم"عبدالله الحوراني" النازحة في مخيم "زيزون" مع خمسة من أطفالها منذ العام ٢٠١٤ ولا زالت تقيم فيه، بعد استشهاد زوجها في المعارك الدائرة بدرعا مع النظام، حيث تقول «حال الناس هنا تبكي البشر والحجر، لا توجد خدمات نظافة ولا صحة، الطعام والشراب قليل جدا»، وكل فترة يأتون إلينا بكرتونة صغير لا تطعم الأولاد خمسة أيام.

وتابعت، نحن نطلب وطلبنا ألف مرة أن تأتي ما يسمونها الحكومة المؤقتة أو الائتلاف أو الأمم المتحدة لزيارتنا هنا في هذا المعسكر، عندما يأتوا سيشاهدوا احوالنا بأم أعينهم».

وتضيف متسائلة، أليس هناك مخصصات للنازحين ألسنا نحن من تشردنا بسبب الحرب أين نهذب بحالنا؟ كل الحدود مغلقة أمامنا؟ أقيم هنا مع أولادي في غرفة لا تتسع لثلاثة أشخاص، شتاء مثل العلقم مر علينا لا يعلم بحالنا إلا الله وحده تمنينا أن يأتي مسؤول واحد من المعارضة أو العالم ليسألنا عن ما نحتاج في هذل المخيم القاتل.

فيما عبر "أبا محمد"عن استيائه من نقص في المساعدات وإهمال المنظمات لاحتياجاتهم الأساسية، وارتفاع أسعار المحروقات إذ يبلغ سعر الطن الواحد من الحطب ٤٠ ألف ليرة سورية بالأضافة إلى ارتفاع سعر ليتر المازوت لـ (٣٠٠) ليرة سورية.

مناشدا جميع القائمين على العمل الإغاثي في الجنوب السوري للتدخل السريع وانقاذ المخيم والنازحين وخاصة الأطفال.

الجدير بالذكر، أن مخيم "زيزون" هو أول مركز إيواء في درعا، وأسس مجلس محافظة درعا مؤخراً مركز الإيواء الثاني في الشركة السورية الليبية، بعد عجز الأول عن استقبال المزيد من النازحين.

مابعد أستانة

د. رياض نعسان آغا

- من خلال متابعتي لمؤتمر آستانة ، لاحظت أن روسيا أرادت أن يكون المؤتمر ذا صبغة سياسية ، وأن يتناول موضوع الحل السياسي مستبقاً موضوع وقف إطلاق النار ومرحلة بناء الثقة (فك الحصار ، إطلاق سراح المعتقلين ، إيصال المساعدات الإنسانية) لكن وفد الفصائل تمكن من حصر المحادثات في قضية الخروقات و تثبيت وقف إطلاق النار (الهدنة) ولم يناقش قضايا الحل النهائي ، مؤكداً أن عملية الانتقال السياسي تناقش في مؤتمر جنيف وضمن ثوابت القرارات الأممية ،وبإشراف الأمم المتحدة ومرجعية جنيف ١ والقرار ٢٢٥٤ .

– لم يتحقق في المؤتمر أي تقدم يذكر على صعيد وقف إطلاق النار والإجراءات الإنسانية .

– البيان الذي صدر هو باسم الدول الراعية وليس باسم المعارضة ، وليست مسؤولة عن صياغته ، وفيه ما توافق عليه المعارضة وما تتحفظ عليه .

– حدد البيان القرار ٢٢٥٤ مرجعية وهذا يعني بالضرورة القانونية التزاماً ببيان جنيف ١١ لأنه مرجعية القرار وبخاصة في مادته الأولى (١ –يؤكد من جديد تأييده لبيان جنيف المؤرخ ٣٠ حزيران/يونيه ٢٠١٢، ويؤيد □□بياني فيينا□□ في إطار السعي إلى كفالة التنفيذ الكامل لبيان جنيف، كأساس لانتقال سياسي بقيادة سورية وفي ظل عملية يمتلك السوريون زمامها من أجل إنهاء النزاع في سورية، ويشدد على أن الشعب السوري هو من سيقرر مستقبل سورية). والمادة الخامسة (٥ –يسلّم بالصلة الوثيقة بين وقف إطلاق النار وانطلاق عملية سياسية موازية، عملا ببيان جنيف لعام ٢٠١٢، وبضرورة التعجيل بالدفع قدما بكلتا المبادرتين، ويعرب في هذا الصدد عن تأييده لوقف إطلاق النار في جميع أنحاء سورية).

– لم يتحدث الوفد أي حديث عن الدستور .

– أرى أن الاطلاع على الدستور الذي يقال إن الروس قدموا نسخة منه للإعلام ، أمر ضروري كي نفهم كيف يفكرون ، وماذا يخططون لنا ، مع تأكيدنا بأن الدستور السوري يضعه السوريون أنفسهم ويخضع لاستفتاء شعبي عام .

البيان الذي صدر هو باسم الدول الراعية وليس باسم المعارضة ، وليست مسؤولة عن صياغته ، وفيه ما توافق عليه المعارضة وما تتحفظ عليه .

– أداء الوفد كان متقناً ناضجاً محترماً ، وخطابه ملتزماً بمطالب الشعب وثوابت الثورة .

– التقارب الذي يحدث من قبل غالبية المعارضة مع روسيا تمليه الضرورة والمتغيرات على الأرض ، على أمل أن نلحظ تغيرا ملموساً في موقف روسيا الحقيقي في تحقيق حل سياسي ، وتوقفها عن توفير غطاء جوي لهجمات النظام والميليشيات الإيرانية على شعبنا .

– أرى أن فتح الشام مطالبة بحل تنظيمها كي تجنب الشعب مزيداً من الدماء ، وعليها أن توقف حربها ضد الفصائل الوطنية التي تصرفت بحكمة واستجابت لنداء الحل السياسي .

– ستبقى الهيئة العليا للمفاوضات الطرف المعتمد في التفاوض (ونتوقع إلا تعيق روسيا ذلك فتفشل التقدم الجاد نحو الحل رغم إشارتها الملتبسة لمنصة آستانة) فالهيئة العليا نتاج إجماع دولي (حتى يحدث الله أمراً) والهيئة منفتحة على منصة القاهرة ، وعلى كل أطياف المعارضة الوطنية التي تلتزم بمطالب الشعب ، والهيئة تضم قوى المعارضة الرئيسة (الائتلاف ، هيئة التنسيق ، الفصائل ، المستقلين) ولم يكن أعضاؤها غائبين عن وفد الفصائل إلى آستانة .

سوريا

التناغم أو التنافس بين الانتداب الروسي والاستحواذ الإيراني

د.خطار أبو دياب

أبدى وزير الخارجية الروسية، سيرغي لافروف ، امتعاضه من تشبيه « الدستور الروسي لسوريا» بدستور بريمر للعراق (حاكم العراق الأمريكي بعد السيطرة على بغداد) . وهذا الامتعاض لن يغير شيئاً في الوقائع ، لأن موسكو التي تسمح لنفسها بصياغة مشروع دستور وتوزعه في ختام محطة أستانة التفاوضية ، لا يختلف اسلوبها عن أسلوب كل قوة استعمار أو سيطرة تتصور ان من تمارس عليهم الانتداب قاصرون أو ليسوا مؤهلين لتقرير مصيرهم بأنفسهم وصياغة دستور لبلادهم.

إبان الوقت الضائع الأمريكي والانكفاء الأوروبي والغياب العربي ، تمكنت روسيا من خلال القوة الجوية والصاروخية الاستراتيجية خصوصاً وبالتعاون مع القوات البرية التي تقودها إيران من فرض الوقائع الجديدة في سوريا . وإذا كانت المواجهة العسكرية كشفت بما لا يقبل الشك عن فعالية التنسيق بين روسيا وإيران ، يتوجب الاستدراك لأن تجارب التاريخ علمتنا صعوبة التعايش بين قوتين محتلتين على أرض واحدة وفي حالتنا هذه إن لجهة تصور مستقبل سوريا ودور منظومة الأسد ، وإن لناحية الحسابات الإستراتيجية والإقليمية للطرفين . ولذا مهما كان حجم الانتكاسة بعد إسقاط حلب ، يمكن الكلام عن نهاية فصلٍ من فصول أول نزاع اقليمي - عالمي متعدد الأقطاب في هذا القرن ، وهو صراع مفتوح على أكثر من مسرح. لا ترقى العلاقة الروسية - الإيرانية إلى مصاف الحلف الاستراتجي، لكنها تتميز بمستوى متقدم من التنسيق تحت سقف لعبة المصالح المتبادلة. وكانت الساحة السورية مختبر العمل بين الجانبين وذلك لحاجة مزدوجة :

- حرص الجمهورية الإسلامية الإيرانية على ديمومة النظام السوري الذي يعتبر الجوهرة على تاج مشروعها الامبراطوري والذي حول سوريا إلى جسر إيران نحو البحر الابيض المتوسط،
- تمسك الاتحاد الروسي بآخر نقطة ارتكاز في العالم العربي، إذ تتجاوز المسألة الدفاع عن النظام السوري إلى أهمية دور سوريا الجيوسياسي لناحية الوصول الى المياه الدافئة وحروب مصادر وممرات الطاقة، بالإضافة إلى استخدام الورقة السورية في العودة بقوة الى الساحة الدولية

لوحظ وجود تقاسم النفوذ والعمل على الأرض إذ تركز روسيا على استكمال بناء جزيرتها (روسيا الجديدة أو أبخازيا السورية) على ساحل شرق المتوسط في غرب سوريا . بعد التوقيع على صك تسليم قاعدة حميميم الجوية لمدة ٩٩ عاماً ، جرى التوقيع على عقد لقاعدة طرطوس البحرية (مدته ٤٩ عاماً مع ٢٥ سنة قابلة للتجديد) . ويبدو ان الاتفاق الموقع في يناير ٢٠١٧ يطرح بعض التساؤلات من قبل الروس أنفسهم ، إذ ان نائب وزير الدفاع الروسي نيقولاي بانكوف كان قد أعلن ، في أكتوبر الأول ٢٠١٦، أن المشاورات جارية حول مشروع اتفاق روسي-سوري بشأن إنشاء قاعدة عسكرية بحرية روسية دائمة في ميناء طرطوس، ولكن يبدو أن هذا لم يتحقق.

> حرص الجمهورية الإسلامية الإيرانية على ديمومة النظام السوري الذي يعتبر الجوهرة على تاج مشروعها الامبراطوري والذي حول سوريا إلى جسر إيران نحو البحر الابيض المتوسط

فالاتفاق الذي توصل إليه الجانبان تضمن توسيع مساحة نقطة الإمداد المادي والتقني التابعة للأسطول الحربي الروسي في طرطوس، وكذلك دخول السفن الحربية الروسية إلى المياه الإقليمية السورية ومياهها وموانئها، شريطة ألا يزيد عدد السفن الروسية في الميناء، بموجب الاتفاقية الجديدة، عن ١١ سفينة، بما فيها السفن الحربية، وتسري هذه الشروط حتى إذا كانت «الضرورة العملياتية» تتطلب حركتها المفاجئة ، وهذه الاتفاقية تسمح من دون مقابل ببناء واستخدام الأرصفة والمستودعات والملاجئ .

.وتفيد مصادر روسية ، ان الضغوط الإيرانية لم تسهل مهمة المفاوض الروسي لأن « طهران حساسة من تعاظم نفوذ موسكو في منطقة الشرق الأوسط، وغير راضية عن قرار موسكو بشأن مشاركة تركيا في تسوية النزاع السوري، وكذلك الرغبة الروسية بالتعاون مع الولايات المتحدة ودول التحالف الدولي». يجدر التذكير أن طهران استاءت، في أكتوبر٢٠١٦، من نشر وسائل الإعلام الروسية معلومات عن إعداد روسيا وسوريا مشروع اتفاقية لإنشاء قاعدة بحرية حربية روسية متكاملة في طرطوس. فقد أعلن رئيس هيئة الأركان الإيرانية محمد حسين باقري، في نوفمبر ٢٠١٦، أن القوات البحرية الإيرانية قد تطلب قريبا إنشاء قواعد لها في سوريا واليمن. (هذا يفسر إبقاء اتفاقية تعاون مع إيران لاستثمار ميناء في اللاذقية خارج تواقيع عماد خميس في طهران لأن ذلك يقع في مناطق النفوذ الروسي).

> " طهران حساسة من تعاظم نفوذ موسكو في منطقة الشرق الأوسط، وغير راضية عن قرار موسكو بشأن مشاركة تركيا في تسوية النزاع السوري، وكذلك الرغبة الروسية بالتعاون مع الولايات المتحدة ودول التحالف الدولي"

يشار إلى أن الاتفاق الموقع بين بوتين والاسد في اغسطس ٢٠١٥ يقضي بإبقاء القوات الروسية حتى اشعار آخر ومن دون أي مسؤوليات جنائية. إنه الانتداب الروسي بغير قناع مع الحصانات المكتسبة والأراضي والمياه وعقود الطاقة المنتظرة وغيرها من المكاسب. أما مناطق النفوذ الإيراني فتمتد من دمشق وجنوبها حتى الحدود مع لبنان (الممر نحو حزب الله) وتصل إلى حلب نظرا لأهمية موقع المحافظة الاستراتيجي والاقتصادي.

من خلال تصريح احد الجنرالات الايرانيين عن الرغبة بإقامة قاعدة بحرية في سوريا، يتبين إمكان تزايد عدم الثقة بين الشريكين على مدى متوسط لأن روسيا التي لا تريد تحول سوريا إلى مستنقع يمكن أن تكتفي بما يسمى « سوريا المفيدة» وان تعمل لاحقا مع تركيا وغيرها من أجل تركيب حل في سوريا يحفظ مصالحها ووجودها، ومسألة بقاء أو عدم بقاء الأسد سيتصل بالتوازنات المستقبلية والمساومات الممكنة. . في المقابل، تخشى إيران من غلبة الدور الروسي وتهميش دورها على مدى متوسط ولذا تركز على الإمساك بالحلقة الاولى وبالقيادات الميدانية العاملة على الأرض ، ويخشى بعض أنصارها من ترحيب العلويين بالوجود الروسي . وهذا كله هو الذي دفع بالإيرانيين للاستعجال وطلب الثمن من النظام السوري الذي أوفد رئيس حكومته في يناير ٢٠١٧ الى طهران كي يتمم استكمال بيع سوريا وتسليم ابرز قطاعاتها المنتجة-من خلال اتفاقات تشمل تشغيل الخليوي والطاقة والفوسفات والصناعة والثروتين الحيوانية والزراعية بالإضافة للمرفأ على غرب المتوسط

هكذا تأخذ موسكو وطهران ثمن الأتعاب والاستثمار في حماية منظومة الأسد من خلال استباحة سيادة سوريا وخيراتها وشعبها . أما النظام السوري فيواصل تمثيل دوره في لعبة دمرت سوريا وجعلتها ساحة حروب وتقاطعات الآخرين.

الهوية الوطنية وإعادة الاكتشاف و التركيب

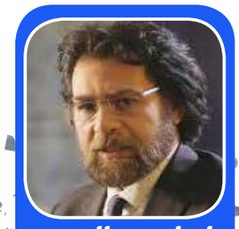

إبراهيم الجبين

صناعة المستقبل تبدأ لحظة الاعتراف بالتأخر

ما زلنا في سوريا والمشرق ندفع ثمن صراعات فكرية كبيرة بين تيارات آمن بها شباب الحداثة العربية، تسببت بشروخ وتصدعات كبيرة في مجتمعاتنا، دون أن يجدوا لها حلولاً تحسم النزاع أو تعتبر تسوية تسمح للهويات الوطنية بالتشكل والاستقرار.

وكان الوعي الإيديولوجي والعقائدي أكبر العراقيل أمام تمهيد الطريق للمجتمع كي يستريح مع حلول فكرية يقدمها له هؤلاء المتصارعون، صراحة، على الوصول إلى الحكم خلال المئة سنة الماضية.

ولكن شخصاً مثل المفكر السوري الراحل ياسين الحافظ، خبرَ وعرف إشكالات الصراع القومي العربي من جهة والماركسي العربي من جهة أخرى، ووجد أنه يمكنه من خلاله الانتقال إلى نقد المجتمع المتسبب الأكبر برأيه في بروز مثل هذه النخب المتنافرة.

ذهب الحافظ إلى تفكيك التعبيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية، ومن ثم التوصل إلى المنظومات المتماسكة من المفاهيم التي اعتبرها تساهم في تشكيل «وعي قريب من الواقع». مثل مفهوم التأخر التاريخي، ومفهوم الأيديولوجيا، ومفهوم الثورة القومية الديمقراطية ذات الأفق الاشتراكي، ثم مفهوم الوعي المطابق. وكان لتحليله للحرب اللبنانية ومعطياتها الأثر الكبير الذي لم يدرس كفاية بعد.

تأخرنا التاريخي

اعتبر الحافظ أن «التأخر التاريخي للشعب العربي»، تأخر إيديولوجي سياسي أساساً، أي تأخر في الوعي والفكر «منظوراً إليهما من خلال ممارسة المجتمع كما يقول منير الخطيب في مقال له في موقع السؤال.

يتجلى هذا التأخر سياسياً في غياب دور الشعب وفي سيادة الروح الرعوية (من الرعية) وفي سيكولوجية عبد سلطان، كما يتجلى اقتصادياً في كون الاقتصادات العربية مندلقة على الخارج ومنقطعة فيما بينها، ويتجلى أيديولوجياً، وهذا هو الأهم، في سيطرة التقليد على كتلة الأمة، وهو تقليد مناف لروح العصر، ومجاف لمنطق التقدم. الأيديولوجيا العربية التقليدية «مفوَّتة»، تعيش زمناً غير زمنها؛ وهي التي تحدد زاوية رؤية الإنسان العربي للكون والتاريخ والطبيعة والمجتمع والدولة والإنسان، والمرأة بوجه خاص. فالإنسان معرَّف لديها بالإيمان والتقوى والطاعة والامتثال والتصديق والرضا والتسليم والقناعة، لا بالعمل والعقل والحرية والمعرفة والخلق والإبداع. الإنسان في نظرها ضعيف عاجز، وموضوع لفعل الطبيعة والقوى الخارقة الغيبية، وليس القادر على تغيير أشكال الطبيعة والمجتمع وعلى بناء التاريخ. الإنسان للتأمل والدهشة وتسبيح قدرة الخلاق العظيم، لا للمعرفة والاكتشاف. الإنسان للإثبات والتوكيد والتأييد، لا للرفض والنفي والنقد.

> الديمقراطية يجب أن ترتكز على العلمانية بوصفها حركة "توحيد المجتمع لا تلحيده"، وبوصفها أيضاً مشروع استقلال المجتمع عن أي هيمنة أو تسلط .

وسأبقى أقتبس من الخطيب وهو يصف تلك المفاهيم عند ياسين يالحافظ «التاريخ لدى المجتمعات العربية ليس من صنع الإنسان، وغير قابل للتحسن بتدخل البشر، بل هو انبساط للوحي، ويزداد انحطاماً وتلوثاً كلما ابتعد عن زمن الوحي؛ فتغدو مهمة البشر، وفقاً لها، هي استحضار العصر الذهبي الذي مضى، والعودة إلى السلف الصالح، فالابتعاد عنه هو سبب بلايا الأمة ومصائبها. فلا يصلح حال الأمة إلا بما صلح به أولها».

أما المرأة في مرآة الأيديولوجية التقليدية «حرمة»، ناقصة عقل ودين، وهي أداة إمتاع جنسي للرجل، إن لم تجلب العار، تجلب العدو إلى الدار.

إن هذه الإيديولوجية «المفوَّتة» لا تحترم العمل والإنتاج، ولا تقيم وزناً للوقت، ولا تدرك معنى مفاعيل الزمن، وهي، في نظر الحافظ، لب التأخر التاريخي للشعب العربي، فلم نعد، في ضوء هذه الرؤية، أمام تقدم فئة اجتماعية وتأخر فئة أخرى، بل نحن أمام مجتمع متأخر برمته؛ البرجوازية متأخرة، والطبقة العاملة متأخرة، والأمة متأخرة، وكذلك الانتلجنتسيا والأحزاب، بما فيها أحزاب المعارضة.

يقول الخطيب إن إشكالية التأخر التاريخي قادت ياسين الحافظ مع عبد الله العروي، إلى اكتشاف أهمية «الليبرالية» لتحديث المجال الثقافي العربي

الذي تشغله هذه الأيديولوجيا التقليدية، فغدا السؤال الملح؛ «كيف يمكن للفكر العربي أن يستوعب مكتسبات الليبرالية قبل (وبدون) أن يعيش مرحلة ليبرالية؟ والليبرالية في نظر الحافظ هي منظومة القيم والمبادئ والأفكار التي تبلورت في أوروبا في القرنين ١٧و١٨ وحاربت بها البورجوازية الصاعدة الأفكار والتصورات والمؤسسات الوسطوية والإقطاعية. كتب فيصل المحمدي في الحوار المتمدن إن الحافظ كان فكرياً، يثور ليكسب السياسة طابعا جديدا «بوصفها مجموعة من المسؤوليات و الحقوق و الواجبات ملقاة على عاتق عضو حر و مسؤول، يشكل جزءا لا يتجزأ من جماعة مدنية.و بوصفها نقدا يخترق عمارة المجتمع ليصل إلى القاع و يمارس فعله الزلزالي»كما كان الحافظ يقول. والبناء الإيديولوجي الذي يرتكز على فكر إيماني واحدي، لا على فكر «علمي، دنيوي، نسبي، يجري تخطيه جدليا مع كل خطوة تخطوها المعرفة إلى الأمام، هو أساس هزيمتنا، إنه وعي مأزوم و مهزوم و مفوت، لا وعيا مطابقا يستلزم إزالته».

ظواهر

قام الحافظ بتحليل عدد من التظاهرات المهمة في الوطن العربي كان أبرزها :أولاً. ظاهرة هيمنة الخارج على الداخل، سواء الهيمنة الاستعمارية سابقاً أو الهمينة الأمريكية لاحقاً، وظاهرة التبعية للخارج، مع التأخر التاريخي لم تعد الهيمنة مجرد فعل استعماري هدفه النهب الاقتصادي للدول المختلفة، بل إن البنى الاجتماعية والأيديولوجية والسياسية، فضلاً عن الاقتصادية، التي كانت تعاني بالأساس حالة فوات، قبل الاجتياح الغربي، أعيدت صياغاتها تحت ضغط هذا الاجتياح، وفقاً لمتطلبات السياسة الكولونيالية. إعادة الصياغة هذه خلقت تشويهات في البنية المجتمعية العربية، فلم نعد إزاء ضعف في النمو، بل إزاء نمو مشوه. ولم يعد بوسع المجتمع العربي أن يحافظ على تقليديته الصرفة، ولم يستطع في الوقت ذاته أن يستوعب منجزات الحضارة الغربية، فأنتج فكراً «نغلاً» هجيناً. وطوعت مفاعيل الهيمنة الاستعمارية ثم الليبرالية بناه المتأخرة وتعشقت معها، ليعاد بذلك إنتاج التأخر بأشكال أكثر قبحا وشيناً. التأخر الداخلي، في رأي الحافظ، هو أساس استقدام الخارج، وأساس النهب المتوحش لمجتمعاتنا، والأساس الموضوعي للهيمنة الإمبريالية المطلقة عليها، وهو الذي يفسر استقدام الجانب الاستهلاكي من الحضارة الغربية. فالعرب الذين يطردون ماركس وديكارت واسبينوزا وكانط وهيغل من حياتهم الثقافية، يقبلون بنهم شديد، وأكثر من شعوب الأرض جميعاً على استيراد الويسكي وأفلام الجنس وأساليب الربح السريع. كما أن قيام إسرائيل، بوصفها ظاهرة فرعية من الظاهرة الاستعمارية، لم يكن ليتم لولا التأخر التاريخي للشعب العربي؛ فإسرائيل ضفدعة لا يمكن أن تهزم الفيل العربي، لو لم يكن هذا الفيل خائر القوى وممزق العضلات ومشلول الدماغ.

> الوعي الإيديولوجي والعقائدي أكبر العراقيل أمام تمهيد الطريق للمجتمع كي يستريح مع حلول فكرية يقدمها له هؤلاء المتصارعون، صراحة، على الوصول إلى الحكم عبر المئة سنة الماضية.

ظاهرة أخرى هي انتقال العرب من الزمن الناصري إلى زمن آخر. وما رافق هذا الانتقال من علاقات سياسية وأيديولوجية واجتماعية ما كان يمكن أن تتم لولا إشكالية التأخر. فتراجع العرب من سياق تشكل جنين الدولة الأمة أو الدولة الأموية إلى مرحلة ما دون الدولة، وتراجعوا من سياق بدايات تشكل مجتمع مدني إلى مناخ الاختلاط والسديمية والتكسر المجتمعي والتذرر، ومن عصر الوحدة إلى زمن الاستنقاع الإقليمي، وتجذر الدول القطرية وكياناتها الهزيلة.

دخل العرب حروب التدمير الذاتي القذرة لمجتمعاتهم، فكانت الحرب الطائفية اللبنانية، والحرب العراقية الإيرانية، والحرب اليمنية، والحرب الليبية التشادية والحرب الجزائرية، والحرب في جنوبي السودان، وحرب الخليج الثانية. وكلها حروب متوحشة وعبثية تفتقت في جسد الأمة، في مرحلة إعادة الهيمنة الإمبريالية على مجتمعاتنا .إن سبب الهزيمة هو إيديولوجية سائدة وفكر سائد.

مع النقد الإيديولوجي ينتقل الحافظ، حسب الخطيب، إلى الحيز الذي تتركز فيه مسألة الفوات التاريخي للعرب، فيتصدى بصرامة منهجية إلى الإنتلجنتسيا العربية مفنداً وداحضاً تياراتها الإيديولوجية على اختلاف تلاوينها واتجاهاتها والتي تشترك، رغم اختلافها في مسألتين هامتين: الأولى: أنها تستخدم مناهج غير مطابقة لأهدافها المرفوعة.والثانية: أنها تنطلق من الهدف إلى الواقع، لا من الواقع إلى الهدف، ولذلك أنتجت سياسة مبنية على الشعارات والرغبات والأحلام الأيديولوجية المسكرة. فالتيار السلفي، تحت ضغوط الغرب الكولونيالي وتحت ضغط الشعور بالهزيمة، والشعور بالدونية أمامه، هرب للاحتماء بالتراث، وراح يستحضر عصراً ذهبياً مضى منذ ١٤٠٠ عام متوهماً أنه سيواجه الغرب بعملية الاستحضار هذه، فشطر الغرب شطرين: تكنولوجي وفكري، ورفض القسم الفكري وحاول أن يصنع توليفة بين الشق التقاني للغرب وإعادة إحياء التراث العربي متجاهلاً الجذر المعرفي والثقافي للتكنولوجيا الغربية. إن منهجيته المتمثلة بالقياس أو المحاكاة لفكر الأسلاف تلغي الواقع ومسائله وإشكالاته، وتلغي الإنسان بوصفه إنسان العمل والإنتاج والإبداع.

هل الديمقراطية صندوق فقط؟

الديمقراطية لا تنحصر في صندوق الاقتراع، كما آمن الحافظ، وفي مقولة «حكم الشعب نفسه بنفسه ولنفسه» وحسب. ولا تتحدد، فقط بعلاقة السلطة بالشعب، بل هي أوسع من ذلك بكثير، إنها حركة مجتمعية تستند إلى منجزات الثورة البرجوازية في الغرب، بوجه عام، وبالإنجاز الليبرالي وما ينطوي عليه من مفاهيم حرية الفرد والمواطنة وحقوق الإنسان والتعددية، والشك وكسر سلطات اللاهوت،

واحترام الشغل والوقت وسيادة القانون، ونبذ العنف خارج المجتمع ... إلخ.

والديمقراطية بوجه خاص يجب أن ترتكز على العلمانية بوصفها حركة توحيد المجتمع لا تلحيده، وبوصفها أيضاً مشروع استقلال المجتمع عن أي هيمنة أو تسلط روحي أو أيديولوجي مصدره السماء أو الأرض، على حد سواء.

فلا ديمقراطية بدون مجتمع علماني موحد ومستقل عن أي هيمنة. ولا معنى إذا للحديث عن قومية حديثة بدون سيرورة علمنة ودمقرطة المجتمع العربي في العمق، فالقومية بدون سفحيها هذين ستكون استبداداً ونكوصاً للخلف، لا مشروعاً للمستقبل.

وضع التأخر التاريخي للشعب العربي وإفرازاته، من جهة، والوعي الأيديولوجي لدى النخب العربية، من جهة ثانية، دفعا ياسين الحافظ إلى صياغة مفهوم «الوعي المطابق»، في معارضة استلاب الوعي الإيديولوجي. والوعي المطابق يعني أولاً التمسك بمنهج مطابق للأهداف، هذا المنهج يتعارض مع النظرة الدوغمائية والأيديولوجية التي تنظر إلى الواقع على أنه مؤلف من لونين أسود وأبيض، أما الوعي المطابق فيرى الواقع مؤلفاً من ألوان لا حصر لها. الوعي الأيديولوجي يرى أن الحقيقة مطلقة وثابتة، أما الوعي المطابق فيراها نسبية ومتغيرة، الوعي الأيديولوجي يقيم انفصالاً بين الباطن والظاهر. الوعي المطابق لا يرى مثل هذا الانفصال. الوعي الإيديولوجي يعتمد على الحدس والتقريب والعموميات والشعارات، أما الوعي المطابق فيعتمد على التحليل والتركيب والتحديد وعلى التفاصيل الدقيقة. الوعي الأيديولوجي ينطلق من الرغبة والشعور والمعتقد. أما الوعي المطابق فينطلق من الوقائع والمعطيات القائمة. الوعي الأيديولوجي تقريري، والواقع، في منظوره، معطى نهائي، والوعي المطابق يقوم على منهج تحليلي ويكتشف الواقع تدريجياً، مع تقدم المعرفة البشرية. والوعي المطابق يعني ثانياً التمسك بثلاثة أبعاد مهمة هي: الكونية والحداثة والتاريخانية أو الفكر التاريخي. أو لنقل: إن الوعي المطابق هو وعي كوني أولاً وتاريخي ثانياً وحديث ثالثاً.

> الأمم ذات الوعي المفوّت تنسحب من راهنها، و نتيجة للهيمنة الخارجية، تعود لسكنى الماضي لتنتج وعيا مأزوما يصطحب ما هو فائت و وسطوي إلى الحاضر، لذلك فإن كل أمة تريد أن تتعصرن لا بد أن تكوّن وعيها.
> لأن الهوية هي حضور و صنع للمستقبل و صيرورة، لا سكنى للماضي و تذكر لأمجاده.

مع الوحدة التناقضية التي فرضتها الرأسمالية على العالم، ومع تعقد مشكلات عالمنا المعاصر . أصبح الوعي المحلي أو الأقوامي وعياً قاصراً. فلا بد من وعي القسم المتقدم من العالم لأن إنجازاته ملك للبشرية كلها، وليست وقفاً على أبنائه فقط.

والوعي المطابق هو بالضرورة وعي حديث، يتعامل مع الحداثة التي أنجزها الغرب بدون نرجسية قومية، ويرى أن البشر جميعاً يشتركون في إمكانية التقدم، وفي قدرتهم على تحسين شروط حياتهم باستمرار. وإن تبني الحداثة الأوروبية التي هي حركة تقدم نشأت بتأثير الزلزلة البرجوازية لحيّزات الجتمعات الوسطوية، الاقتصادية والثقافية والسياسية والمجتمعية، إن تبنى هذه الحداثة هو المقدمة اللازمة لكي يتجاوز الفكر العربي حالة الفوات التاريخي التي تفصله عن العالم المتقدم.

يعتبر الحافظ، حسب المحمدي، أن «الأمم العصرية يتطابق وعيها القومي مع وعيها الكوني»، أما الأمم ذات الوعي المفوّت، فهي تنسحب من راهنها، و نتيجة للهيمنة الخارجية، تعود لسكنى الماضي لتنتج وعيا مأزوما يصطحب ما هو فائت و وسطوي إلى الحاضر، لذلك فكل أمة تريد أن تتعصرن لا بد أن تكوّن وعيها.

كان الحافظ واعياً بأن الهوية هي حضور و صنع للمستقبل و صيرورة، لا سكنى للماضي و تذكر لأمجاده.

وثالث مستويات الوعي المطابق يتمثل في الوعي التاريخي. فللواقع العربي امتداد في المكان الذي هو العالم المعاصر، ومن هنا تنبع أهمية الوعي الكوني، وله امتداد في الزمان الذي هو التاريخ. في المجتمعات التي لم تحرز تقدّمات تاريخية يكاد الماضي والحاضر أن يتمازجا لديها. ومن هنا تنبع الأهمية الحاسمة للوعي التاريخي في رؤية أو تشخيص الحاضر، من جهة، وربط الممارسة السياسية بالحقيقة التاريخية، من جهة ثانية، الأمر الذي يتطلب نبذ كل رؤية أيديولوجية أو وردية للتاريخ.

والوعي المطابق ثالثاً هو سيرورة معقدة وشاقة وجهد متواصل من التنقيب والتحليل والتركيب والنقد والشك وصولاً إلى المطابقة، مطابقة الوعي مع الواقع المتغير باستمرار، لذا لا يمكن للمطابقة أن تكون تامة بل هي عملية اقتراب دائمة من الواقع. وشرط المطابقة اكتشاف مسألة التنابذ بين الأيديولوجية والواقع. بدون اندماج الأيديولوجي في الواقعي، بدون الاحتكام الدائم إلى الواقع، ومحاكمة الأيديولوجية لتصويبها وتسديدها يفلت

الواقع المـوَّار، المتحرك والمعقد من ساحة الرؤية، وتصبح الرؤية الأيديولوجية آنذاك شكلاً من أشكال الفصام (الشيزوفرينيا)؛ لأنها تتعامل مع واقع موضوعي غير الواقع الذي تتصوره. أو لأنها تخرج الواقع من رأسها، بتعبير ياسين الحافظ.

الغاية من العودة للحافظ اليوم، هي تفكيك ما يم تجاهل وجوده من مشكلات، وكأن شيئاً لم يكن، وكأن الزمن لا يمر على هذه المشكلات الكبرى، التي يجري تجاهلها لصالح اليومي والسياسي الانتهازي أو الإنساني الخدمي الذي يستهلك كل شيء.

ولاية الفقيه

أيديولوجيا النخبة الحاكمة في إيران

جبر شوفي

بعد سيطرة آية الله الخميني على الثورة الإيرانية ١٩٧٩وتنفيذه إعدامات وعمليات إقصاء لقيادات الثورة المدنية من ذوي التوجهات الديمقراطية واليسارية والدينية المخالفة، أعلن عن تبني قيادة الثورة الإسلامية الإيرانية لولاية الفقيه، متبعاً أساليب وتوجهات إسماعيل الأول مؤسس الدولة الصفوية، قبل أكثر من خمسمئة عام، فكما وضع إسماعيل الأول الفرس من غير الشيعة ولاسيما السنة منهم، أمام خيار التشيّع أو الموت، وعمل لكي تكون إيران الصفوية في مواجهة الدولة العثمانية السنية الواقعة على حدوده الغربية، ضمانة لإخلاصهم وولائهم للدولة، وليكونوا جنودها في بسط سلطتها وهيمنتها على أراضيها من دون منازع، وضع الخميني الخيار ذاته في ظروف أخرى مواتية، فأسس مجلس تشخيص مصلحة النظام من فقهاء ورجال دين للإشراف على المؤسسات، ومارس كل أنواع الإكراه والإجبار وسعّر الخلافات المذهبية باتباع العديد من الإجراءات العدوانية المباشرة تجاه الأقليات الدينية والعرقية والإثنية الأخرى، وراح يستنفر الحشود المذهبية التابعة له لرفع راية الجهاد الدينية والسياسية، على مبدأ الشيعة الاثني عشرية وحافظ على، أن يظلّ أتباعه مستنفرين وجاهزين للانقضاض على كل مخالف، وبدلاً من دعوة إسماعيل الأول ١٥٠١ جميع الشيعة خارج إيران إلى العيش فيها، دعا الخميني جميع الشيعة للالتفاف حول الجمهورية الإسلامية الإيرانية، حماية لأنفسهم ولدفع الظلم عنهم وللانتصار لآل البيت بإعادة الحق المغتصب عبر الاقتصاص من سلالة من حرموهم من حقهم في الخلافة، ومناصبة العداء للأكثرية السنية باعتبارهم - حسب اعتقادهم - يتحملون وزر استباحة دم أوليائهم واحداً بعد آخر، وقد ظهر ذلك في استمرار شعائر الشيعة ومفاهيمها في تقديس الأئمة من آل البيت واعتبارهم خالدين بأرواحهم، التي يمكنها أن تحلّ بجسد إمام حاضر، ينوب عن الإمام الغائب، وفق مفاهيم ولاية الفقيه المعروفة منذ الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر عند الشيعة الاثني عشرية، وباعتبارها ولاية وحاكمية الفقيه الجامع لشروط التقوى والمرجعية الدينية المعبر عنه، بالمجتهد في الأحكام الشرعية لإقامة شرع

الله على الأرض، وقد حصرت الشيعة الاثني عشرية هذه الولاية وحقّ الحاكمية في ثلاثة: الله ورسوله والأئمة الاثني عشر من أهل البيت، ومن هنا كان تفويض الولي الحاضر بصلاحيات استثنائية، يمنحها له الموقع المقدس الذي يحتله، ولكنّ الخميني بعد انتصاره على معارضيه، لم يكتف بذلك، بل أدخل تعديلات، منحت لولي الفقيه الرئاستين (الدينية والزمنية) ملغياً بذلك ثنائية (الشاه والفقيه) ومرجعية (قم والنجف) وأجاز للوالي، أن يغير في نصوص الشريعة أو حتى ينسفها ويضع شرعاً بديلاً

عنها، يشمل الولاية على الفرد والمجتمع والدولة على حدّ سواء، وبذلك بات الخطر الاستراتيجي الداهم الذي يقلق إيران الحالية، هو أن يظهر مجتهد شيعي آخر يعتبر « ولاية الفقيه « بدعة، فيقوّض أسس الدولة الأتوقراطية الحاكمة، ولاسيما مع وجود مرجعيات شيعية هامة، رفضت وترفض هذه الإجراءات والاجتهادات، وتميل إلى التفريق بين الولاية على شؤون الدين وبين السياسة والدولة المدنية.

أبرمت هذه التعديلات على ولاية الفقيه عقداً (أيديولوجياً لنظام حكم أتوقراطي) لا يقف عند إلغاء الحيادية السياسية للفقيه الأول، بل تصل إلى تشميل السياسة لمهام رجل الدين ومصادرة قرارها المستقل، والدفع به ليشرّع أيضاً مبدأ تصدير الثورة باعتبارها مهمة جهادية مقدسة ومدى لمخيال سياسي يغذي طموحات التمدد الإمبراطوري، ليحقق المبدأين الديني والسياسي معاً، وبذا يغدو التوسع لإخضاع الجوار واجباً دينياً يكمل الهدف السياسي ويشمّله بقداسته، ليبيح عمليات التغيير الديمغرافي عبر توجيه السياسات في الدول والتنظيمات التابعة كما في العراق وسوريا وحزب الله والحوثيين في اليمن وغيرها، مما يشرع المخطط التوسعي عبر الاعتداء المباشر والقتل والتهجير لكل مخالف، بهدف إخلاء المحيط السني وبسط التمدد الشيعي على حسابه، وهذا يعني قمة التعدي على الحريات الدينية والسياسية وحقوق الإنسان وكرامته الشخصية، وأعلى مخالفة واضحة للقوانين الدولية، وهو يشكل أخطر وأعمّ قوانين الاستباحة، تحت غطاء أيديولوجي ديني/سياسي، يستثمر في الهوس الديني للتابعين، عبر إثارة غرائزهم المذهبية، لحشدهم خلف ولي الفقيه، مترقبين عودة المهدي القادم من خرسان، تحفّ به الرايات السود وهتافات الأتباع، فيقضي على أعور الدجال وينتقم أشدّ انتقام من المخالفين والعصاة، ثمّ يتجه إلى مكة لتخليص الكعبة من حكامها المغتصبين، الذين أنكروا حق آل البيت في الولاية؛ وعلى هذه القاعدة المزدوجة، بدأت الطموحات الإمبراطورية الفارسية الشيعية اختراقاتها لمحيطنا العربي والإسلامي.

إنّ خطورة هذه الأيديولوجية الشعبوية، يكمن في اعتبارها هذا الاعتداء الوقح والصريح جهاداً لابدّ منه، ليخلّص الشيعي من كابوس الندم الشديد لتخليه عن نصرة أوليائه، مما يضفي على احتفالاتهم بذكرى كربلاء الطابع السوداوي العنيف والمعبر عن نفوس مأزومة محتقنة بالثأر من النفس ومن التاريخ ومن أتباع المذاهب الأخرى، وارتفاع مفهوم التطّهر عبر الألم والانتقام المازوشي من الجسد بعمليات جلد الذات والتاريخ معاً، انتقاماً وفضحاً على تقصير وجبن سابقين، وعهداً على التخلّص من هذا التقصير، برفع راية آل البيت.

لقد تعدّى خطر نشر التشيّع مشاريع التوسع والهيمنة وتغيير المعتقدات الدينية والتابعية، إلى عملية فكفكة وتخريب اللحمة الوطنية في الأوطان بحيث يغدو الولاء للمرجعية الدينية أقوى وأمتن من الولاء للوطن، وما أمثلة حزب الله اللبناني والحشد الشعي العراقي والفصائل الجهادية الشيعية الأخرى المقاتلة دفاعاً عن نظام تابع إلا أدلة واقعية، تؤكدها مجمل السياسات الإيرانية وكل تصريحات القيادات الشيعية السياسية والعسكرية، وهي كلها تنذر بتخريب البنية الديمغرافية للدول العربية والإقليمية، مما يضع العرب والمنطقة برمتها على حافة اخطار كاسحة، لابدّ من التصدي لها لدحرها، لكي يبقى للعرب كيانات وطنية.

> أسس الخميني مجلس تشخيص مصلحة النظام من فقهاء ورجال دين للإشراف على المؤسسات، ومارس كل أنواع الإكراه والإجبار وسعّر الخلافات المذهبية باتباع العديد من الإجراءات العدوانية المباشرة تجاه الأقليات الدينية والعرقية والإثنية الأخرى

> الله ورسوله والأئمة الاثني عشر من أهل البيت . . من هنا كان تفويض الولي الحاضر بصلاحيات استثنائية، يمنحها له الموقع المقدس الذي يحتله

(روج آفا)

قلقُ التَسمية وأحادية التفكير

محمد المطرود

تبنَّى الاتحاد الديمقراطي، الجناح السوري للعمال الكردستاني مصطلح(روجافا) في إشارة إلى الجزيرة السورية، شمال شرق سوريا، تراوحَ هذا الطرح بين الحلم والوهم، وفَّرَ النظام السوري أرضية له، ثمَّ جاء الأمريكان، ليلعبوا بالورقة ضغطاً على عدةِ أطراف، والهدف المعلَن محاربة داعش، والخفي هو المحافظة على الدور الأمريكي في المنطقة والذي صار باهتاً عقب رحيل القوة العسكرية من العراق، لم يقتصر دعم الحلم/ الوهم على السياسي الكردي، إنّما تعداهُ إلى المحسوبين على طبقةِ الانتلجنسيا، باعتبار أنَّ توفر ميليشيا، تلكأت في تسمياتها، إضافةً إلى مزاج دولي في التقسيم بحجة الشروخات العميقة بين السوريين، وكذلك الضعفِ الذي بدا على النظام والمعارضة معاً، خلق من طبقة لايستهان بها، بعضهم محسوب على الحزب المذكور ويتبوّق باسمه إلى إطلاقِ(كردستان) على هذا الجزء الملتبس والمتنازع عليه نسبةً ونَسَباً، تاريخاً وجغرافياً، حيث صار مفهوم الفدرلة خارجَ سياقه إذا عرفَ المتابع أنَّ لاوجود لمركز يمكن مطالبته باستحقاق الفيدرالية، ثمَّ أنَّ أي تحول في جزء من(دولة) بالأساس لم تكن دولة قانون وإنما كانت دولة أمنية وتحكم بمركزية القمع، سيكونُ تحولاً هَشّاً، يحتكمُ لحال الواقع والظروف المحيطة بهِ، وبالتالي سيكونُ قفزة في الهواء، أو اصطياداً للأمالِ بالشعارات الزائفة، لتنويم الكرد أولاً وطي ملفهم كطَرفِ صاحب مصلحة في الثورة بغض النظر عن مآلاتها الحالية، ومن ثمَّ تخويفِ المكوناتِ الأخرى، كيانات سياسية ضعيفة أو المتمثلة في القبائل التي تشكل النسبة الأكبر من الوجود البشري في الجزيرة، والتي تناغمت أو تميّعت مع طروحات النظام السوري، ولم تجد في القوى الأخرى بديلاً أخلاقياً، يجعلها تفكُّ شراكتها الواهية أساساً مع النظام.

> أي تحول في جزء من (دولة) بالأساس لم تكن دولة قانون وإنما كانت دولة أمنية وتحكم بمركزية القمع، سيكونُ تحولاً هَشّاً

سياسياً تنازعَ بعدَ ال٢٠١١ طرفانِ كرديانِ البيت الكردي، بذريعة تأثيثهِ، أحدهما(مجلس غرب كردستان) وهو الواجهة السياسية والإدارية لحزب الاتحاد، الأقوى، الأكثر تنظيماً وتحالفاً مع عدة قوى من بينها النظام بحجة الحصول على امتيازات كنوع من(البراغماتية)، الطرف الثاني هو وئام أحزاب كثيرة، قواعده تميل للثورة وعملت في أطرها من المجلس الوطني السوري إلى الإئتلاف، غير أنّهم الأضعفُ والأكثر ارتباطاً بأقليم كردستان وبشخص السَتروك مسعود البرزاني، لكنَّ الطرفان لم يقرأا المشهدَ جيدا، وبدا لهم أن التحولات الجارية هي فرصة ذهبية ذهبية للتصعيد سواء على مستوى التسميات أو المطالبة بشكل معين للدولة السورية إلى إلغاءٍ لعروبتها من خلال إغفال» العربية» من الاسم القانوني الحالي: الجمهورية العربية السورية، في حين يركز الطرفان على استخدام(كردستان)، كما لو أن كردستان الكبرى/ الحلم، هي الجزء الذي يذهب كل طرف إلى دحض رواية الطرف الثاني بأنّها هي الأكثر قابلية للتحقق من أجزاء ثلاثة يكاد يكون أمرها مبتوت فيه ولايقبل الشكَّ أو المشاكلة، وهو ماجعل وسيجعل

> (مجلس غرب كردستان) وهو الواجهة السياسية والإدارية لحزب الاتحاد، الأقوى، الأكثر تنظيماً وتحالفاً مع عدة قوى من بينها النظام

المغالاة هنا أشبهُ بالشعارات التي يطلقها بعض كهنة المعارضة السورية في اقتراب الانتصار العسكري وزوال النظام.

إنَّ الحديث والذي يتقاسمه جهلة راحوا مع الشعارات وآخرين يعملون على صناعتها لتنفيذ أجندات أو مرامي حزبية، تريد التموضع في الخارطة السياسية الكردية بعد الإفلاسات العميقة للأحزاب ونفور القواعد منها، جعلها تُغيّب المشهد الحقيقي للمنطقة المتمثل بوجو(مكونات) صاحبة حق ولها عمقها التاريخي والجغرافي وكذلك روايتها بامتلاك المكان. كلّ هذا التجاهل بإشاعة خطاب يطمح لتكريس فكرة وجود قوتين(البيدا) باسمائه العسكرية والسياسية والمجلس الوطني الكردي، هو قراءة عاجزة للواقع بدأت بعض الشخصيات تتفهمه، إضافة إلى حسٍّ ولو متأخرٍ للمكونات الأخرى المغيبة سياسياً أصلاً، والتي لم تعانِ قبلاً من ذوات جريحة بفعل أنّها الأكثرية ولاخوف عليها.

فيما لو هدأت الحرب، واتفاق الهدنة الأخير والمُهندَس من قوى إقليمية ودولية فاعلة ولها أذرعها في تحريك المشهد سياسياً وعسكرياً صار سارياً، وأُلحقَ بطاولة مفاوضات في (الآستانة)، وذهبت سوريا بكليتها إلى حلٍ ينهي المقتَلة، فأنَّ قضايا كثيرة ستنتظر الحل، منها شكل الدولة واسمها، وستكونُ القراءات الصحيحة والمستندة إلى المنهج والحوار هي الأقدر على فكِّ اللبس وبما يرضي الهدف الذي لن يغيبهُ السوري من تطلعاته وأقصد دولة مدنية تقوم على مفهومي الحق والعدالة وليس المحاصصة والقسمات التي تظهر فشلها في كلِّ الأماكنِ على حساب آخر، إذ من المتعذّر والشائك أن

> قضايا كثيرة ستنتظر الحل، منها شكل الدولة واسمها، وستكونُ القراءات الصحيحة والمستندة إلى المنهج والحوار هي الأقدر على فكِّ اللبس

الآخذة بها. وفيما لو تحققت هذه(الدولة) الحَق خارج الطوبى والتنظير وهو أمر ليس سهلاً غير أنّه ليس معجزة أيضاً، فأننا والحال هذه أمام تحولات حقيقية، معالجة، ومتفهمة للآخر وحقوقه وبما يبينهُ القانون والسرديات التي يظهرها كل طرف صاحب حق ومظلومية، ليصار إلى إحقاقها وبالتوافق وليس بإكراه أحد

يُلغى من المعادلة من يرى نفسه طرفاً فيها، وإذا كانتِ الأحزاب الكردية سواء التي تفصح عن ميولها أو تلك تضمرها، تُغيبُ وتغيبُ عن المشهد السياسي فأنها يمكن أن تعتبر من النظام الحاكم أمنياً ومسوّقا مقولته بحزب هدّام سُميَّ» حزب البعث العربي الاشتراكي»، هذهِ القوة لم تستطع أنْ تميت كردية الكردي في نفسهِ وإنّما عززت كرديته بشحدّها للمظلومية، وعليه فأنَّ أي تجاهلَ للمكونات الأخرى ولو معنوياً، سيجعل الدائرةَ أضيق على الجميع، وسيذهب بالمنطقة إلى نار هي أكبرُ من المستعرة هذه الأيام في عموم البلد.

هي ليست نفيراً، إنّما دعوة لقراءة الواقع كما هو لا كما يجب أن يكون.

من أين جاء العنف؟

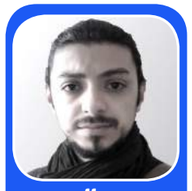

سعد الربيع

منذ الانشقاق عن الاثنا عشرية , وحتى الثورة السورية ظلَّ الاسماعيليون يتقاسمون الأئِمّة و الخبز مع الشيعة, حتى وفاة الإمام السادس «جعفر الصادق», إذ ذهب فريقٌ الى أن الإمامة من حق ابنه الأكبر صاحب الوصاية «اسماعيل المبارك», بينما رأى آخرون أن الإمامة لأخيه «موسى الكاظم», وذلك لشهادة البعض بوفاة اسماعيل في حياة أبيه, ما يثبت أن انشقاق الطائفة الاسماعيلية عن الجذر الشيعي, اعتمد على رؤى غير مدركة, وشهادات قيل عن قال, لكن هذا ما حدث, وهنا تبدأ الحكاية ...

التنظيم و الادارة ..

على كثرة المشاحنات بين الطوائف الاسلامية, الا أن من اعتمد مبدأ التنظيم و الادارة و التبعية والقيادة الموحدة و السريّة في الدين, هم قلّة, على رأسهم يأتي الاسماعيليون يليهم الدروز فالعلويون (النصيرية), لتبقى أمّة الأكثرية الوحيدة التائهة دون قيادة أو مرجعية ثابتة أو مجلس أعلى متفرغ لشؤون الدين, لهذا تعتبر أمّة السنّة الأضعف قوة وتمثيلًا, رغم أنها الأكثر عدداً, ولا تقاس الحكمة بالكثرة, فكان انعدام التنظيم نقطة ضعفها, فيما قويت غيرها من الطوائف عليها بتنظيمها وادرتها.

اندفع الاسماعيليون الى فلسفة الدين, كمدخل لتمييز أنفسهم فقهياً عن الشيعة الاثنا عشرية, وكانت هذه محاولة تسترعي الانتباه من قبل الكثيرين ممن ضنوا على أنفسهم باتباع الطرق التقليدية في الدين, والتي اخترقتها مفاهيم خرافية غير عقلية, كبعض شطحات الصوفية, وخزعبلات شيوخ الاثناعشرية الذين لم يوفروا جهدا لإثبات حقهم بالخلافة حتى راحوا الى تأليه الأئمة, وجعلهم يفوقون بقدراتهم حتى قصص الخيال, إلا أن بعض الدعاة الاسماعيليين أوغلوا في التفسير والتأويل أيضاً, بل ذهبوا الى التحريف الصريح لبعض الآيات القرآنية لكسب التأييد الإلهي, وعمد بعض الدعاة الى المبالغة في الجوانب العقلية و الروحية, وإعلائها على الجوانب العملية في العبادة كالفرائض وغيرها.

لم يتوقف مبدأ الإمامة عند الاسماعيلية على القيادة الدينية فقط, بل كان مصدر حكمة وتشريع وإثابة وعقاب, الأئمة الاسماعيليون هم الوحيدون القادرون على فهم المعنى الباطن للقرآن (وهذا سبب نعتهم بالباطنية),

ولهم فقط تجتمع السلطتين الدينية و السياسية, فبالغ بعض الأئمة في سطوتهم وسلطتهم المسلم بأمرها من الأتباع, ففرضوا الضرائب المالية, وجندوا الكثيرين ممن لا يعصون أمراً للإمام, كونه مصدر الإيمان ومفتاح الغفران, فعملوا بذكاء على تطبيق الثيوقراطية الدينية السلطوية, ليمسكوا بزمام أمور الدنيا والآخرة, كما كانت تفعل الكنيسة في أوروبا في قرون مضت, فوجبت طاعة الإمام لأنه « العادل في الحكم, الزاهد في الدنيا, الصادق في القول, الشجاع في العمل, الحكيم في الأمر, المختار بعناية (بشرية والهية), الحافظ للدين و الصائن لخباياه..» وتتعدد وتكثر صفات ونعوت الأئمة لتطول القائمة, حتى أن بعضها يكفي ذكره ليضفي نوعا من القدسيّة على صاحبه.

كُرّسَت الدولة الفاطميّة لنشر الدعوة الاسماعيلية بشكل منظّم, فكان هناك الإمام والوسيط بينه

وبين الناس, والدعاة وقادتهم, و (الفدائيون) المدربون, وفُرِضت الضرائب المالية التي لازال بعضها يدفع حتى اليوم, (كضريبة الخُمس التي لا تزال تدفع في سوريا) وصار للطائفة كيان سياسي وأيديولوجيا في كل مكان تتناسب مع واقع المكان وطبيعة الحكم فيه, الى أن أصبحت الدعوة الاسماعيلية أشبه بحزب سياسي عابر للحدود.

القدرة على الاندماج والتخفّي...

منذ أن بات الاسماعيليون ملاحقين كفرع منشق عن الأصل الشيعي الاثناعشري, كان لابد لهم أن يكونوا الطرف الأذكى من بين جميع الملل الباطنية, والتي اتخذت مشروعا منفصلا عن بقية التيارات السائدة, مشروعا سياسيا موازياً لكونه مشروع ديني ايماني, فكان لإعطائهم الدين شكل فلسفي وعرفاني, باباً يفتح لهم مداخل كثيرة الى حاضنات اجتماعية تحتويهم وتأخذهم لمصاف عليا, ويذكر لهم أنهم تمكنوا في بعض الحُقب الزمنية المتأخرة من النهوض بمجتمعهم الداخلي وتطويره وفتحه على المجتمعات الأخرى المجاورة والمحيطة, فتعاملوا بذكاء مع السنّة, وتراخي مع المسيحيين, وحذر وبراغماتية مع العلويين, فتمكنوا من كسب الجوار والانخراط في الحياة التجارية والسياسية والدينية للمجتمع ككل, دون حصر نشاطهم بملّة عن غيرها كما فعل الدروز (أخوتهم بالمنهج), وكما زالوا يفعلون في سورية.

رغم عدم وجود احصائيات دقيقة لأعداد الاسماعيليين في سوريا, إلا أن معظم الاحصائيات الترجيحيّة تقود الى أن أعداد الاسماعيليين في سوريا لا يتجاوز الـ ٢٪ على أكبر تقدير, من أصل حوالي ٢٤ الى ٢٥ مليون سوري, إلا أن انخراطهم بشكل ملحوظ في الحياة السورية, واختلاطهم بالطوائف الأخرى عن طريق الزواج و التجارة, يجعلهم ملحوظين بشكل أكبر, ويجعل تواجدهم اعتيادي بين الأكثرية السنية, وغيرها من المكونات, حتى أن من كان من الاسماعيليين في نقاط السلطة الغير محببة (كالمخابرات والجيش) يعرفون تماما كيف يقدمون أنفسهم بمعزل عن الطغمة الحاكمة, فيجدون لأنفسهم موطئ قدم مع المؤيدين و المعارضين وحتى الرماديين, ليصبحوا الكفة الرابحة في النهاية, كما كانوا دائما على مر التاريخ.

في زمنٍ ليس ببَعيد, تمكن الاسماعيليون حتى من السيطرة على دار الإفتاء بحلب, وتبوُّء مناصب دينية عليا (كعلماء دين سنّة) في كل من حماة ودمشق وغيرها من المدن السورية الكبيرة, ما كان له أثر عظيم على تعايش وتداخل هذه الطائفة التي لو تصرفت على غير هذا, في بلد مثل سوريا تحديدا, لاضطرّت لمحاباة النظام وخدمته في الجيش وأجهزة الأمن, وحصرت نفسها ضمن إطار ضيّق, ولكان أصابها ما أصاب الطائفة العلوية, من انعدام في الأداء الاجتماعي السليم والحقيقي, والنبذ المتبادل مِن و لِلمُكوّنات السورية الأخرى, ولا يعني ما ذكرناه من دهاء في التعايش من قبل الاسماعيليين, أنهم نجوا تماما من خطيئة استغلال السلطة بطريقة طائفية, بل أن قسماً كبيرا منهم أيضا قد تورّط وسقط في ظلّ النظام, وصار محسوباً له وعليه, وبما أننا نتحدث بهذا السرد المعاصر وليس التاريخي, فكل هذا يقودنا الى ما آلت إليه الانتماءات السياسية المبنية على أساس ديمغرافي من علاقة لكل من ذكرناهم مع النظام الحاكم في سوريا, قبل و بعد الثورة السورية وبما أننا لسنى بمجال الاستعراض التاريخي, يكفي أن نذكر, لا نحصر, بعض ما مرّ به الاسماعيليون في كل من سلمية ومصياف, من مواجهات مع النظام, وأن منهم الكثير من المعارضين السياسيين قبل بداية الثورة بسنوات, كما فيهم من المثقفين والحاصلين على شهادات جامعية عليا, الكثير, ونقول الكثير نسبة لأبناء مناطق ريفيّة تمكنوا من كسر حاجز القرية ليقتحموا المدن كطلاب علم وفنانين, ومع بداية الثورة السورية, كان لهم نصيب لا بأس به

> وجبت طاعة الإمام لأنه " العادل في الحكم, الزاهد في الدنيا, الصادق في القول, الشجاع في العمل, الحكيم في الأمر, المختار بعناية (بشرية والهية), الحافظ للدين و الصائن لخباياه.."

من المشاركة في التظاهرات المطالبة بالحرية والكرامة, ولكن الأمر المتوقع قد حدث, وهو أن يستعمل النظام أبناء الطائفة نفسها لقمع المتظاهرين منهم, فيحدث الانقسام داخل البيت الاسماعيلي الواحد, فضلا عن أن الاسماعيليين في مدنهم الكبرى, كمصياف وسلمية, لم تعد لهم الكلمة الفصل, فاختراق النظام طائفياً للبنية المكونة لهذه المدن من اسماعيليين وبعض السنّة (ومن السنة من كان اسماعيلياً في الأصل), وخلق أحياء كاملة لسكان جدد من الضباط العلويين وعائلاتهم (كمستوطنات) كما يسميها أبناء مصياف وسلمية والقدموس, فضلا عم استغلال الأوضاع الفوضوية من قبل بعض المتنفذين لشراء الأراضي والأبنية السكنية ولو حتى بالإرغام, لخلق موطئ قدم لهم, وكسر وحدوية الحالة في المدينة فلا تصبح قوة متماسكة ذات صبغة اسماعيلية, خصوصاً أن بين الأخيرين وبين العلويين, خصومة دينية واجتماعية طويلة, وتنافس وجودي لإثبات أحقية بالمكان.

> لم يتوقف مبدأ الإمامة عند الاسماعيلية على القيادة الدينية فقط, بل كان مصدر حكمة وتشريع وإثابة وعقاب, الأئمة الاسماعيليون هم الوحيدون القادرون على فهم المعنى الباطن للقرآن (وهذا سبب نعتهم بالباطنية), ولهم فقط تجتمع السلطتين الدينية و السياسية, فبالغ بعض الأئمة في سطوتهم وسلطتهم المسلم بأمرها من الأتباع

قادة وأيديولوجيا...

كانت سياسة الخط الاسماعيلي واضحة تقريبا مذ أخذت الفئة الدينية شكل كيان مستقل, فاعتمدت على قوتها البشرية استنادا الى تشريعاتها العقلية, بحيث تتمكن من حماية وتمويل نفسها بالاستفادة من اخلاص أتباعها وانصياعهم المطلق, فكان للفدائيين الاسماعيليين لمسات خطيرة عبر التاريخ, توضح مدى تغلغل هذا الكيان في مفاصل صناعة القرار السياسي في كل الدول والممالك المشكلة للمنطقة, من فارس شرقاً, حتى المغرب العربي غرباً, فضلا عن تواجدهم في بعض بلدان أوروبا وشبه القارة الهندية طبعاً, فما قام به مثلا «سنان راشد الدين» حين رد قائد كصلاح الدين عن قلعة مصياف, بأن اخترق صفوف الأخير ليضع رسالة وخنجر على وسادته, دليل على خطورة وتنظيم مخابراتي عالي, أو كقائد مثل الحسن الصباح الذي أسس لجيش فريد من نوعه في التاريخ ككل, وما مجموعة «الحشاشين» من قتلة محترفين, إلا دليل آخر على عقلية سياسية وتنظيمية لفرقة دينية بسياسة خطيرة باختلافها, الصبّاح الذي قاتل وحده بفرقة القتلة التي ابتكرها كل من العباسيين و الايوبيين والسلاجقة بل وحتى الفاطميين بعد الانشقاق الى «نزارية» و «مستعلية», فقد كان الصبّاح من النزارية, على الرغم من أن نسل الذكور من نزار ابن المستنصر بالله قد انقطع, إلا أن الصباح أصرّ على الاكمال مدعياً بأن محظيّة لنزار كانت حبلى, فنقلها الى قلعة ألموت حيث

وضعت الإمام الجديد, لكن فعلياً استمرت الدعوة الاسماعيلية النزارية بحسن الصباح نفسه الذي لم يدعي الامامة بل كان وسيط الإمام الوحيد, والداعي الأول و وريث عبد الملك ابن العطاش بعد مقتله, حامل الدعوة الاسماعيلية الفاطمية. اليوم لم يعد هناك فدائيون اسماعيليون, لكن هناك المؤسسة الاسماعيلية الآغاخانية العابرة للحدود, تقوم بما هو أفضل من عمل الفدائيين ...

> في زمنٍ ليس بِبَعيد, تمكن الاسماعيليون حتى من السيطرة على دار الإفتاء بحلب, وتبوُّء مناصب دينية عليا (كعلماء دين سنّة) في كل من حماة ودمشق وغيرها من المدن السورية الكبيرة

يعتبر المؤرخون والمحللين السياسيين, أن حزب «الإخوان المسلمين» يعتبر من أخطر الأحزاب على مستوى العالم, وذلك لأنه من أقدم الأحزاب السياسية المنظمة, والتي تمسك بزمام الأمر الديني والسياسي معاً, فتشكل معادلة صعبة خصوصا كونها حزبا بمنطلقات وشكل معاصر, مناسب لكل زمان ومكان, ومن هذه الحقيقة تأتي بالقياس الطائفة الاسماعيلية من أكثر الطوائف الاسلامية خطورة, من حيث التنظيم, الادارة, الاندماج, الاستمرار. كتب أحد كبار دعاة الاسماعيلية وهو « أبو علي أ . عبدالعزيز» في كتابه «الطريقة الاسماعيلية» في الصفحة ١٢٩ يقول:

« النبيّ أتى ليرينا الحقيقة, وعَليّ هو الحقيقة,

حمص
بعيون فرنسية

بسام سفر

عندما حملت شهادة الصحفية الفرنسية»إيديت بوفييه»، رقم (٨) في سلسلة شهادات سورية، بعنوان «غرفة تطل على الحرب» الصادرة عن بيت المواطن في بيروت بالعام ٢٠١٤م، إلى غرفة مكتبي على سطح منزلنا في دمشق لم أستطيع إكمال قراءتها لعمق وصف الحرب والعنف الذي شنه النظام على مدينة حمص، وكثافة المشاعر العالية والوقائع والحقائق التي وضعتها بوفييه فيها، في بداية العام الجاري، وبالشهر الأول منه أنهي قراءة شهادتها عن دخولها أثناء الحصار الذي كان مطبق على مدينة حمص، وبالتحديد في حي بابا عمرو، وتصف ذلك بالقول: «غادرنا المدينة (بيروت) في اليوم التالي، الوجهة عينها: حمص، حي بابا عمرو. حمص معقل التمرد، يقصفها الجيش النظامي من دون توقف. لقد حاصر الجيش الموالي لبشار الأسد هذه المدينة. أقام أحد عشر حاجزاً لمراقبة عمليات الدخول والخروج. حي بابا عمرو محاصر بالدبابات وهو يتعرض باستمرار لنيران المدفعية. معظم الناس هربوا من بيوتهم، ويختبئ الباقون في الأقبية. الشروط الصحية و الإنسانية كارثية».

أن مدينة حمص تدفع غالياً ثمن ارتباطها المحموم بالثورة السورية، و قد أصبح القمع فيها أكثر شراسة منذ الرابع من (شباط/ فبراير) في العام ٢٠١٢م. المدينة التي نذهب إليها ثالث أكبر مدينة في البلاد من حيث حجمها، وهي من أوائل المدن التي انضمت إلى الحركة الاحتجاجية في آذار؟مارس٢٠١١م. وهي اليوم أحد معاقل الجيش السوري الحر.

وتشرح بوفييه كيفية عبور النفق للوصول إلى مدينة حمص قائلة:» ثلاثة كيلومترات في نفق لصرف المياه لا يتجاوز ارتفاعه ١,٦متراً وعرضه متر واحد، ساعتان لا تحتملان الظهر المقوس، القدمان في الماء والوحل، وحرارة خانقة. الجدران خشنة الملمس، والماء يتسرب في الجدران، وشيء من الطحالب في بعض الأماكن، أتكبد عناء كل خطوة ودائماً على حدود الانفجار. وأنا أضبط رهاب الأماكن المغلقة المتزايد مع توغلنا في تلك الأنابيب المعتمة واللزجة. كان الشباب يسيرون في المقدمة وهم محملون بمعداتنا كالبغال. وكنت ألحق بهم، رافضة التحدث، مركزة على حذائي الرياضي الجديد وتنفسي. لم يكن بوسعي أن أستسلم و أعود أدراجي، أبداً بالمطلق. كان شريط كفتاة بالميزان، كنت أعد الثواني و أركز بخاصة كي لا أركز على شيء. فقط على قدمي اليمنى ثم على قدمي اليسرى، ومجدداً على قدمي اليمنى. كل توقف تحت أنبوب تنفس كان يسمح لنا بالانتصاب قبل أن نضطر لمزيد من الانحناء. إذ كان النفق يضيق. بعض التمارين الرياضية لاستعادة قدرة الجسد على الحركة. الرغبة في حرق لفافة تبغ، كان ذلك سيهدئني». أن المخرج الوحيد للنفق أنبوب جديد، سليم رفيع من الحديد الصدئ، مثبت تثبيتاً قوياً إلى حائط مؤلف من:» عشرون قضيباً قبل استعادة السماء المليئة بالنجوم، وبرد شديد، ينخر العظام. في صمت مطبق. مشينا إلى سيارة رباعية الدفع كانت تنتظرنا على بعد بضعة أمتار قرب دغل صغير من الأشجار ومنزل متداع، وسط الحقول أصبح بوسعنا إعادة الأضواء الرأسية التي كنا قد وضعناها على رؤوسنا إلى مكانها. أول رؤية لباب عمرو تحت ضوء مائل إلى الزرقة كان يخفي ما تسببت به الحرب من أضرار. وفي البعيد، كنا نسمع دوي إطلاق القذائف».

وتشير بوفييه إلى كيفية الوصول لحمص بأن:»السيارة تسرع في بابا عمرو. كل ما في تلك الأزقة أسى وغبار وحطام. نختلط بقايا المنازل المهدمة بالسيارة المحترقة. أعمدة الكهرباء تملأ الأرض، تختلط الأسلاك الكهربائية بأجسام الحيوانات الميتة. يجاهد السائق للمرور بين أكوام الكتل الإسمنتية التي سقطت من الأبنية، والتي تملأ الأرصفة. السماء والأبنية تختلط، كل شيء رمادي، مغطى بتلك الطبقة السميكة من الغبار أو الإسمنت نفسها. يتراءى لي أنني أعبر شبح مدينة هجرها سكانها وتخلوا عنها. لا أثر لأيّ كائن بشري. ما من روح حية».

الإصابة في حي محاصر..

يركز أدب الحرب الذي يأتي أقرب إلى المذكرات الشخصية الذاتية على يقظة السارد في التقاط التفاصيل الخاصة بكل لحظة خطر يمر فيها الإنسان، وخاصة في الأماكن التي يمكن أن تغلق لزمن ما، حتى يعاد فتحها عبر مداخل غير رئيسية، عن هذه اللحظات كتبت بوفييه أن» البيت يرتجف. الثريا المعلقة في السقف، فوقنا، تهتز اهتزازا خطيرا بعض قطع الطلاء والدهان تتساقط علينا. نوافذ المطبخ تتخلع مع موجة الأنفجار. الجيش السوري يطلق على رؤوسنا صواريخ من عيار ١٢٢ ميليمتر، الكاتيوشا الشهيرة. بضع ثوان من الراحة، ثم تسقط قنبلة أخرى، أقرب من سابقتها. الناشطون السوريون الموجودون معنا يقيسون مدى الخطر فورا. الجميع في المنزل يتحفزون. تنفجر القذيفة الثالثة.... فور رمي جميع أغراضنا في حقائبنا. نسارع نحو الباب. ماري كولفن وريمي أوشليك هما أول من خرجا، ويليام دانييلز، رفيقي في السفر، وخافيير إسبينونا على بعد بضعة أمتار، قرب الحائط. بول كونروي يقف خلف الثلاجة عندها يدوي انفجار اخر... أتردد ولا أتحرك. وأبقى وسط الحجرة، مواجه باب الدخول. وفي لحظة صعود ماري وريمي السلالم لدخول الشقة، تنفجر قنبلة جديدة. أجزاء من الألف من الثانية. كل شيء يهتز. هذه المرة، أصيب البيت. أفتح عيني صعوبة أنا مستلقية على ظهري، فوق ما يبدو لي طاولة منخفضة ألم رهيب يقص ساقي اليسرى. أحاول النهوض، الألم يشتد. أتلمس فخذي، فيلوث سائل لزج يدي. أتمكن من رفع رأسي. ثم من الجلوس فخذي يتورم بلمح البصر، يبلغ ثلاثة أضعاف حجمه. الدم يسيل من بنطالي... يأتي ويليام يضع ذراعه حول خصري ويشدني إلى الأعلى محاولا إنهاضي. بفضله، أتمكن من الوصول إلى باب الدخول. أمامنا على السلالم، ماري وريمي مستلقيان. أستند إلى الحائط، وقد أنعقد لساني، ينكب ويليام عليهما. يتحدث إلى ريمي ويربت على خده كي يستثير منه رد فعل، كي يوقظه. من ماري، لا نرى منها سوى شعرها الأشقر، يبدو جسداهما وكأنهما تحولا إلى تمثالين. جفونهما لا تتحرك».

> الجيش السوري يطلق على رؤوسنا صواريخ من عيار 122 ميليمتر، الكاتيوشا الشهيرة. بضع ثوان من الراحة، ثم تسقط قنبلة أخرى، أقرب من سابقتها

يأتي بعد ذلك سوري للبحث عنهم يمسك بوفييه من خصرها ويقودها خارج البيت إلى السيارة التي تنطلق نحو مشفى ميداني في حي باب عمرو، وتعالج فيه وتخرج منه إلى استراحة الأطباء في الحي ذاته، وتبقى فيه ثماني وأربعين ساعة لتغادرها إلى بيت اخر في الحي تستطيع أجراء تواصل مع صديقتها من « مراسلون بلا حدود».

الأنفاق.. أنفاق الحياة..

كما هي الحال في غزة، حيث حولت مئات الأنفاق الأرض إلى ما يشبه الجبن المليء بالثقوب، أو في ساراييفو أثناء حصار المدينة، تتنفس المنطقة المتمردة في حمص عبر هذا الوريد. إنها تسحب بعض شهقات من الهواء النظيف بين قصفين اثنين، تملأ رئتيها لتتمكن من الصمود بضعة أيام أخرى. كل يوم، يسلك رجال نفق الماء القديم، ليحملوا، غالبا على ظهورهم أو بمساعدة دراجات نارية صغيرة، الأغذية والأدوية. كل يوم، يخاطرون بحياتهم، وفي يدهم سلاح، كي لا تموت عائلات جوعا. عبر النفق يمر أيضا تموين الوقود والسلاح والسجائر. وفي حمص، وبابا عمرو يستخدم النفق الذي دخلوا منه إلى الحي في محاولة للخروج من الحي المحاصر للعلاج، وإيديت بوفييه لا تستطيع الحركة إلا على نقالة المصابين. وتوضح كيفية أدخال حمالتها إلى النفق» يربط رجل حبلا أعلى حمالتي. ثم ينزل الحمالة بهدوء نحو الفتحة. ينتصب جسمي المعلق. أصبح الأسفل في الفوهة. أحاول ألا أنظر، ألا أرى قاع التجويف. وبعد أن أصبح بوضع شاقولي تماما. أشعر بأن أحدا يمسك بأسفل الحمالة. أفتح عيني أخيرا. ويليام مقابلتي. مرت المرحلة الأولى ممددة على الأرض، أتعرف على جوانب النفق المرتفعة والرمادية. هي أعلى بكثير مما أتذكر. في الوقت نفسه، يبدو كل شيء أعلى حين تكون ممدا على الأرض. أسمع صوت خطوات من ذهبوا قبلنا. وكذلك صوت دراجات نارية. لا مصابيح يدوية، والرجال ينيرون الطريق بهواتفهم النقالة التي تنشر ضوءا أميل للزرقة».

تفشل محاولة الوصول من النفق إلى خارج حي باب عمرو في مدينة حمص بالنسبة لإيديت بوفييه وويليام دانييلز بينما تنجح المجموعات الأخرى بعد كشف جيش النظام عملية الهروب عبر النفق، وفي طريق عودتها بذات النفق إلى حي باب عمرو والمشفى نتيجة سوء وضعها بعد المحاولة تقول:» نتوصل إلى نزع أربطتي، يقبض ويليام على ذراعي ويساعدني على النهوض. أولا كي أقف. ثم لتقريبي من الدراجة. لم أقف منذ عدة أيام. رأسي يدور. لكن الوقت ضاغط، ينبغي أن نسرع. قبل وصول الجيش السوري. يجب أن أصعد على الدراجة بين السائق وويليام. أركز كي استند على ساقي الصالحة وأثني الأخرى بما يكفي للصعود خلف القائد. الجسم قادر على القيام ببعض المهارات التي لم يكن بوسع الدماغ أن يتخيلها. من أجل البقاء يصعد ويليام خلفي. وذراعاه تضمنان بقائي على الدراجة».

بعد هذه المغامرة تخرج بوفييه وويليام من حي باب عمرو ليلة(٢٧ شباط، فبراير)٢٠١٢، إلى قرية في ريف حمص نحو الحدود اللبنانية ليتكفل الجيش الحر ايصالها في مغامرة جديدة نحو بيروت عندها تجد السفير الفرنسي في استقبالها لتنام ليلة واحدة، وترحل في طائرة مجهزة طبيا لتصل باريس، وتستقبلها عائلتها، والرئيس الفرنسي نقولا ساركوزي.

اخيرا نادرا ما يخرج اصحاب الأصابات من الصحفيين والمتطوعين أحياء مثلما حصل مع راشيل كوري في غزة، وماري كولفان وغيرهما، لكن يبقى على الصحفي والمراسل الصحفي الحربي متابعة عمله من جديد، وان ينس أثناء العمل كل ما سبق، وكل ما مر به ليبدأ عمله من جديد، أنها الحياة..

لقد حاولت بوفييه ايصال حقيقة ما يجري في حي بابا عمرو في حمص عاصمة الثورة السورية في العام ٢٠١٢، هل يستطيع» الحماصنة» كما يطلق عليهم السوريين تخليد هؤلاء الذين ضحوا بدمهم من أجل نقل حقيقة ما يجري في مدينتهم في ذاك الزمان.. اعتقد أنهم قادرون على ذلك، وفي المستقبل القريب.

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

د.وائل سليمان

وثقت مصادر حقوقية مقتل ١٦٩١٣ شخصا عام ٢٠١٦، ٨٢٧ منهم في شهر كانون الأول، فيما بلغ مجموع الضحايا الذين قضوا تحت التعذيب ما لا يقل عن ٤٧٦ شخصاً في ٢٠١٦ منهم ٢٠ في كانون الأول، وأفادت الشبكة السورية لحقوق الإنسان ان ما لا يقل عن ٤٨٦ شخصا قضوا في مجازر خلال عام ٢٠١٦ توزعت على النحو التالي:

حلب ١٧٠ مجزرة ١٠ منها في كانون الأول، إدلب ٩٨ مجزرة ١١ منها في كانون الأول، ريف دمشق ٦٣ مجزرة ٣ منها في كانون الأول، دير الزور ٤٨ مجزرة ٢ منها في كانون الأول، الرقة ٣٦ مجزرة ٤ منها في كانون الأول، حمص ٣٠ مجزرة واحدة منها في كانون الأول، حماة ١٣ مجزرة واحدة منها في كانون الأول، درعا ١٣ مجزرة واحدة منها في كانون الأول، الحسكة ١٠ مجازر واحدة منها في كانون الأول، اللاذقية ٣ مجازر ، دمشق مجزرة واحدة ، طرطوس مجزرة واحدة .

تسببت تلك المجازر بمقتل لا يقل عن ٥٤١٧ شخصاً ٣٩٣ منهم في شهر كانون الأول، بينهم ١٦٤٠ طفلاً ١٣٧ منهم في كانون الأول و ٩٠٣ سيدة ٦١ منهن في شهر كانون الأول، أي ٤٧٪ من الضحايا هم نساء وأطفال، وهي نسبة مرتفعة جداً، وهذا مؤشر على أن الاستهداف في معظم تلك المجازر كان بحق السكان المدنيين.

فيما يتعلق بالكوادر الطبية

كما وثقت التقارير قيام قوات النظام بقتل ٤١ اعلاميا ٤ منهم بسبب التعذيب ،٢ في كانون الأول أحدهما تحت التعذيب، و قتل تنظيم داعش ٢٠ اعلاميا بينهم سيدة، بينما قتلت المعارضة المسلحة ٨ اعلاميين، و اعلاميين اثنين قتلوا على يد قوات الإدارة الذاتية الكردية ، و سجلت الشبكة مقتل ٤ اعلاميين على جهات لم تتمكن الشبكة من تحديدها، ووفق التقرير الذي نشرته الشبكة فقد تم في ٢٠١٦ تسجيل حالتي اعتقال تم الافراج عنهما و ٥ حالات افراج واحدة منها في شهر كانون الأول على يد قوات النظام السوري، وحالة اعتقال تم الافراج عنها على يد تنظيم داعش ، ١٢ حالة اعتقال تم الافراج عن ١١ منها وحالة افراج على يد جبهة فتح الشام، ٦ حالات اعتقال تم الافراج عن ٥ منها اضافة الى ٣ حالات افراج على يد فصائل المعارضة المسلحة، كما تم تسجيل ١٣ حالة اعتقال تم الافراج عن ١١ منها وحالة افراج على يد قوات الادارة الذاتية الكردية، و سجل ١٠ حالات خطف تم الافراج عن ٩ منها وحالة افراج منها حالة خطف تم الافراج عنها على يد جهة لم تتمكن الشبكة من تحديدها ، بالإضافة إلى تسجيل حالتي فقد.

وبحسب التقرير فقد أصيب ١٢٣ اعلاميا خلال ٢٠١٦ ، ٧٣ منها على يد قوات النظام السوري منهم ٥ في شهر كانون الأول، ٣١ على يد القوات الروسية، ٨ على يد تنظيم داعش، و٣ اعلاميين على يد فصائل المعارضة المسلحة، واثنين على يد قوات الادارة الذاتية الكردية ، و ٦ اصابات على يد جهات لم تتمكن الشبكة من تحديدها.

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

فيما يتعلق بالإعلاميين

نشرت الشبكة السورية لحقوق الإنسان تقريراً وثقت فيه الانتهاكات المرتكبة بحق الكوادر الطبية خلال ٢٠١٦ و شهر كانون الاول ، ووثق التقرير مقتل ١٦٧ شخصا من الكوادر الطبية في ٢٠١٦ منهم ١٠ في شهر كانون الأول، يتوزعون إلى ١٣٢ شخصا على يد قوات النظام والروسية في ٢٠١٦ منهم ٩ في كانون الأول، و١٨ شخصا على يد تنظيم داعش ، ٩ على يد المعارضة المسلحة منهم طبيبا واحدا في شهر كانون الأول، بينما قتلت قوات الادارة الذاتية طبيبا واحدا ، و سجلت الشبكة مقتل ٧ اشخاص على يد جهات لم تتمكن الشبكة من تحديدها. ويفصل التقرير في ضحايا الكوادر الطبية على يد قوات النظام ، حيث قتل ٨ اطباء أحدهم تحت التعذيب طبيبان منهم في كانون الأول ، ٨ مسعفين واحد منهم في كانون الأول ، ٧ ممرضين بينهم ٣ سيدات اثنتين منهن في كانون الأول، متطوعان في الهلال الاحمر أحدهما في كانون الأول، ٣ صيادلة احدهم تحت التعذيب ، ٣٧ من كوادر الدفاع المدني ٣ منهم في شهر كانون الأول، ١٢ من الكوادر الطبية.

فيما يتعلق بضحايا التعذيب

وثقت الشبكة مقتل ٤٧٦ شخصا في ٢٠١٦ منهم ٢٠ في كانون الأول، بسبب التعذيب على يد الجهات الرئيسة الفاعلة في سوريا، وسجل تقرير نشرته مقتل ٤٧٦ حالة وفاة بسبب التعذيب داخل مراكز الاحتجاز النظامية وغير النظامية في شهر ٢٠١٦ منها ٢٠ في كانون الأول، ٤٤٧ منها على يد القوات الحكومية ١٨ منهم في كانون الأول، ٨ على يد تنظيم داعش و ٤ على يد جبهة النصرة، ١٠ على يد فصائل المعارضة المسلحة ٢ منهم في كانون الأول، ٦ على يد قوات الإدارة الذاتية، حالة على يد جهات لم تتمكن الشبكة من تحديدها. ووفق التقرير فإن محافظة درعا سجلت الإحصائية الأعلى في عدد الضحايا بسبب التعذيب في ٢٠١٦، حيث بلغ عددهم ١٠٣ شخصا ٣ منهم في شهر كانون الأول، بينما بلغ عدد ضحايا التعذيب في حمص ٧٣ واحد منهم في شهر كانون الأول، و ٦٤ شخصا في ريف دمشق ٥ منهم في شهر كانون الأول، ٦٠ في حماه واحد منهم في شهر كانون الأول، ٤٧ في دير الزور واحد منهم في شهر كانون الأول، ٣٤ في حلب ٢ منهم في شهر كانون الأول، ٣١ في دمشق واحد منهم في شهر كانون الأول، ٣٤ في إدلب ٤ منهم في شهر كانون الأول، ١٠ في الحسكة ، ٩ في الرقة ، ٨ في اللاذقية ٢ منهم في شهر كانون الأول، ٢ في طرطوس ، ١ في القنيطرة. وأشار التقرير إلى أنه من ضمن حالات الموت بسبب التعذيب في ٢٠١٦: ٨ مهندسين ، ٨ سيدات ، ٧ طلاب جامعيين ، ٤ اعلاميين ، مدرس ، طبيب في شهر كانون الأول، صيدلاني، مصور ، صحفيان أحدهما في شهر كانون الأول، ممرض مسعف، رياضيان ، محامي ، واحد من الكوادر الطبية ، ٣ أطفال ، ٤ كهول ، ٣ صلات قربى،

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

الائتلاف يحذر من هجمات ميليشيا إيران والنظام على وادي بردى وخرقهما لاتفاق الهدنة

كما وثقت التقارير قيام قوات النظام بقتل ٤١ اعلاميا ٤ منهم بسبب التعذيب ،٢ في كانون الأول أحدهما تحت التعذيب، و قتل تنظيم داعش ٢٠ اعلاميا بينهم سيدة، بينما قتلت المعارضة المسلحة ٨ اعلاميين، و اعلاميين اثنين قتلوا على يد قوات الإدارة الذاتية الكردية ، و سجلت الشبكة مقتل ٤ اعلاميين على جهات لم تتمكن الشبكة من تحديدها، ووفق التقرير الذي نشرته الشبكة فقد تم في ٢٠١٦ تسجيل حالتي اعتقال تم الافراج عنهما و ٥ حالات افراج واحدة منها في شهر كانون الأول على يد قوات النظام السوري، وحالة اعتقال تم الافراج عنها على يد تنظيم داعش ، ١٢ حالة اعتقال تم الافراج عن ١١ منها وحالة افراج على يد جبهة فتح الشام، ٦ حالات اعتقال تم الافراج عن ٥ منها اضافة الى ٣ حالات افراج على يد فصائل المعارضة المسلحة، كما تم تسجيل ١٣ حالة اعتقال تم الافراج عن ١١ منها وحالة افراج على يد قوات الادارة الذاتية الكردية، و سجل ١٠ حالات خطف تم الافراج عن ٩ منها وحالة افراج منها حالة خطف تم الافراج عنها على يد جهة لم تتمكن الشبكة من تحديدها ، بالإضافة إلى تسجيل حالتي فقد.

الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية

وبحسب التقرير فقد أصيب ١٢٣ اعلاميا خلال ٢٠١٦ ، ٧٣ منها على يد قوات النظام السوري منهم ٥ في شهر كانون الأول، ٣١ على يد القوات الروسية، ٨ على يد تنظيم داعش، و٣ اعلاميين على يد فصائل المعارضة المسلحة، واثنين على يد قوات الادارة الذاتية الكردية ، و ٦ اصابات على يد جهات لم تتمكن الشبكة من تحديدا.

الإعلان عن انطلاق غرفة عمليات (نصرة محجة)

أعلنت مجموعة من كتائب الثوار في ريف درعا الشمالي عن إطلاق غرفة عمليات جديدة تحت اسم (نصرة محجة)، رداً على تهديدات النظام باقتحام البلدة، وتلبيةً لدعوة ثوارها لمناصرتهم بصدّ هجوم قوات النظام، وأصدرت الفصائل المشاركة في الغرفة بياناً في السادس والعشرين من كانون الأول وجاء فيه" نحن التشكيلات التالية (جيش الأبابيل – فرقة الحمزة – ألوية جيدور حوران – فرقة الحمزة – ألوية سيف الشام) نعلن عن تشكيل غرفة عمليات المنطقة الغربية لنصرة محجة"، وأشار البيان إلى أن قائد الغرفة هو (بشار الفارس) قائد ألوية "جيدور حوران" والقائد العسكري (أبو نبال) قائد فرقة الحمزة.

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

التجمع الوطني الحر يرحب بالهدنة ويحذر من سعي إيران لإفشالها

التجمع الوطني الحر
للعاملين في مؤسسات الدولة السورية

باب التجمع الوطني الحر حول اتفاق وقف إطلاق النار

يرحب التجمع الوطني الحر للعاملين في مؤسسات الدولة السورية باتفاق إطلاق النار على كافة الأراضي السورية، ويعتبر هذا الاتفاق خطوة مهمة بالاتجاه الصحيح للبدء بالمفاوضات السياسية للوصول إلى حل سياسي للأزمة السورية، استنادا إلى بيان جنيف رقم 1 لعام 2012 وقرارات مجلس الأمن الدولي رقم 2118 والقرار 2254 لعام 2015.

كما يدعو التجمع كافة الأطراف للعمل على إنجاحه والتشديد بنوده. والكشف محاولات إيران وميليشياتها التي تسعى لاستمرار التصعيد والعنف، وأشار إلى أنه يرى في وقف إطلاق النار أساساً لتوفير بيئة مناسبة لإنجاح العملية التفاوضية، ولوقف عمليات التغيير الديمغرافي التي يقوم بها النظام وإيران.

عاشت سورية حرة أبية

31 كانون الأول 2016

رحب التجمع الوطني الحر باتفاق وقف إطلاق النار على كافة الأراضي السورية، داعياً كافة الأطراف للعمل على إنجاحه والتقيد ببنوده، ومحذراً من سعي إيران وميليشياتها لإفشاله، واعتبر التجمع الوطني في بيان أصدره في الواحد والثلاثين من كانون الأول/ديسمبر، ان اتفاق وقف إطلاق النار خطوة مهمة بالاتجاه الصحيح للبدء بالمفاوضات السياسية للوصول إلى حل سياسي للأزمة السورية، استنادا إلى بيان جنيف رقم ١ لعام ٢٠١٢ وقرارات مجلس الأمن الدولي رقم ٢١١٨ والقرار ٢٢٥٤ لعام ٢٠١٥، ودعا التجمع كافة الأطراف للعمل على إنجاح الاتفاق والتقيد ببنوده، وإفشال محاولات إيران وميليشياتها التي تسعى لاستمرار التصعيد والعنف، وأشار إلى أنه يرى في وقف إطلاق النار أساساً لتوفير بيئة مناسبة لإنجاح العملية التفاوضية، ولوقف عمليات التغيير الديمغرافي التي يقوم بها النظام وإيران.

١٧ شيخاً يفتون بوجوب إتمام الاندماج بين الفصائل

بسم الله الرحمن الرحيم

فتوى بخصوص صيغة الاندماج التي وقعت عليها الفصائل الكبرى في سوريا

أفتى ١٧ شيخاً بوجوب إتمام الاندماج بين الفصائل التي وقعت عليه، مؤكدة أن من نكل على هذا الاتفاق فعليه إثم ما قد يترتب عليه من ضياع الثورة وذهاب الشوكة، كما أفتوا لجميع الفصائل والأفراد أن يلتحقوا بهذا الاندماج، وأفاد بيان وقع عليه ١٧ شيخا، وأصدر في الحادي والثلاثين من كانون الأول/ديسمبر،إن الموقعين يفتون بوجوب إتمام الاندماج المذكور، والمسارعة في الوفاء بما تم الاتفاق والتوقيع عليه، وإن من نكل عن هذه الاتفاق فعليه إثم ما قد يترتب عليه من ضياع الثورة وذهاب الشوكة واصطلاح أهل الشام، كما أفتى الموقعون على البيان "جميع فصائل الساحة جماعات وأولية وكتائب وأفراداً أن يلتحقوا بهذا الاعتصام"، وأكدوا أن هذه الاندماج يتم إقراره والدفع في طريق إنجاحه إلا بعد أن تم التأكد أنه السبيل المتاح أمام الثورة لاستجلاب النصر واستدفاع المخاطر، فقد روعي فيه القوة العسكرية الفاعلة، والقيادة المؤثرة المقبولة داخلياً وخارجيا، وتكوين مكتب سياسي فاعل منضبط بضوابط الشرع محقق لمصالح الشعب السوري، وتوحيد القضاء والفتوى والعمل الأمني وتوحيد الحواجز منعاً للفوضى، ودعوا إلى الانخراط في هذا الكيان ومناصرته تحقيقاً لأهداف الثورة، مشيرين إلى أنهم ماضون في العمل بما أفتوا به.

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

الهيئة العامة بالغوطة الشرقية تدعوا لعدم الالتزام بالهدنة ما دام العدوان مستمراً

حذّرت الهيئة العامة في الغوطة الشرقية الفصائل العسكرية الموقعة على اتفاق الهدنة من الركون إلى ألاعيب السياسة وفخاخها، ودعتهم إلى عدم الالتزام بالاتفاق المزمع ما دام العدوان على وادي بردى والغوطة الشرقية وأيٍّ من المناطق السورية مستمراً، وطالبت بالإسراع في رص الصفوف مع باقي الفصائل والاستعداد للأسوأ، ورحبت الهيئة العامة في الغوطة الشرقية، في بيان أصدرته في الواحد والثلاثين من كانون الأول- ديسمبر، بالجهود الرامية إلى وقف نزيف الدم في سوريا والتمهيد لمفاوضات الانتقال السياسي، وثمّنت الجهود التركية – الروسية الساعية لذلك، وأعلنت تأييدها لاتفاق وقف إطلاق النار الذي لا يستثني أياً من مناطق المعارضة أو فصائلها، وأشارت إلى أن الاحتلال الإيراني وميليشياته الإرهابية بما فيها حزب الله وقوات النظام لا تزال مستمر بالعدوان على الغوطة الشرقية ووادي بردى، والطيران الحربي لا يغادر الأجواء. وأضافت بأن أي حل سياسي في سوريا لا يكون منتجاً وذا مصداقية ما لم يتضمن انتقال سياسي حقيقي من دون أن يكون لبشار الأسد ورموز نظامه أي دور في المرحلة الانتقالية.

الائتلاف الوطني يدعو لتطبيق كامل لاتفاق وقف إطلاق النار

أعرب الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية عن تقديره للجهود التي بذلت للتوصل إلى اتفاق شامل لوقف إطلاق النار، يشمل وقف الأعمال العسكرية بشكل كامل في جميع الأراضي السورية، ويخص المساعي التي بذلتها الشقيقة تركيا، ودعا عبر تصريح صحفي أصدره في التاسع والعشرين من كانون الأول، كافة الأطراف للعمل على إنجاحه والتقيد ببنوده، وإفشال محاولات إيران وميليشياتها التي تسعى لاستمرار التصعيد والعنف، كما أكد الائتلاف أن الجيش السوري الحر سيلتزم باتفاق وقف إطلاق النار، ولن يتوانى في الرد على أي انتهاكات ترتكبها ميليشيات إيران وبشار، كما حصل في حالات سابقة، مبينا إن وقف إطلاق النار، هو بند رئيس من بنود قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤ الصادر عام ٢٠١٥، ويشكل أساساً لتوفير بيئة مناسبة لإنجاح العملية التفاوضية، إلى جانب وقف عمليات التهجير القسري وإدخال المساعدات للمناطق المحاصرة بإشراف منظمة الأمم المتحدة، بما فيها الغوطتان الشرقية والغربية ومضايا ووادي بردى بريف دمشق وحي الوعر في حمص وكافة المناطق المحاصرة.

الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

الهيئة العليا للمفاوضات ترحب باتفاق الهدنة

أعلنت الهيئة العليا للمفاوضات عبر بيان أصدرته في التاسع والعشرين من كانون الأول/ديسمبر، ترحيبها باتفاق الهدنة، وأكدت على دعمها للفصائل واستعدادها لتوفير الخبرات والدعم الفني لها، وشكرت الهيئة تركيا على دورها الرائد ودبلوماسيتها الحثيثة والتي أثمرت عن إعلان وقف القتال، وإعادة فتح المجال للحل السياسي، كما أكدت على دعمها الكامل للفصائل، واستعدادها لتوفير الخبرات والدعم الفني، لتتمنى أن تقوم هذه المفاوضات على أجندة واضحة تتضمن وضع آليات ناجعة لمراقبة وقف الأعمال القتالية وضمان التزام سائر الأطراف بها، وأن تسهم في تحقيق البنود الإنسانية ١٢ و١٣ و١٤ من قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤، وأن تتم تحت مظلة أممية وضمانات دولية تمهد لمفاوضات الانتقال السياسي المزمع عقدها في جنيف.

(فيلق الشام) يطالب (فتح الشام) بوضع حدٍ لاعتداءات (جند الأقصى)

بيان

طالب فيلق الشام جبهة فتح الشام بإيجاد حل سريع لاعتداءات عناصر جند الأقصى (المنضم للجبهة)، على عناصر الفيلق واختطاف عدد منهم في ريف حماة الشمالي وسلب أسلحتهم وآلياتهم، مهدداً بالانسحاب من بعض نقاط الرباط، في حال استمرار هذه الاعتداءات، وأفاد بيان لفيلق الشام، أصدره في السابع والعشرين من كانون الأول/ديسمبر، بأن بعض عناصر ومقرات جند الأقصى (المنضمة إلى جبهة فتح الشام) تمارس أعمالاً "تشبيحية" وأفعالاً همجية لا تخدم سوى سقوط المنطقة بيم قوات النظام وانسحاب الثوار، مشيراً إلى أن أنهم اختطفوا مؤخراً عدداً من عناصر الفيلق أثناء عودتهم من نقاط رباطهم في مدينة طيبة الإمام في ريف حماة الشمالي وما حولها، وطالب فيلق الشام في بيانه فصائل حماة بالعمل من أجل علاج الأمر، كما طالب جبهة فتح الشام، بما أنها الضامنة لجند الأقصى الذي يعمل تحت اسمها حاليا، بأن تجد حلاً سريعاً من اجل وضع حد لمثل هذه الأفعال التي وصفها بـ "الإجرامية والاستفزازية"، كما طالب فيلق الشام بالإفراج الفوري والعاجل عن مقاتليه المختطفين لدى جند الأقصى، وترك السلاح والآليات المسلوبة، مهدداً بالرد القاسي والعاجل حفاظاً على سلامة عناصره وحماية سلاحه ومقراته، وأكد أنه سينسحب من بعض النقاط على الخطوط الأولية في حال استمرار مثل هذه الاعتداءات، وذلك حفاظاً على سلامة عناصره من الخطف والقتل، وحفاظاً على منطقة حماة من السقوط.

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

الهيئة العليا للمفاوضات تشكر الملك سعود على المساعدة في إغاثة الشعب السوري

توجهت الهيئة العليا للمفاوضات لقوى الثورة والمعارضة السورية بجزيل الشكر وعميق الامتنان الى مقام خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية على الموقف الكريم، الغير مستغرب، في اطلاق الحملة الشعبية السعودية لإغاثة الشعب السوري، وتقدمت بخالص الشكر والامتنان الى «صاحب السمو الملكي الامير محمد بن نايف بن عبدالعزيز ولي العهد والى صاحب السمو الملكي الامير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز ولي ولي العهد والى اصحاب السمو الامراء و الى أهلنا وأشقائنا شعب المملكة العربية السعودية على تلبيتهم النداء الكريم لخادم الحرمين الشريفين الذي عودنا وعودتنا المملكة قيادة وشعباً على مواقفهم النبيلة واغاثتهم الكريمة لشعبنا السوري ولكل الشعوب التي تجتاحها المحن»، وأشارت الهيئة عبر تصريح صحفي أصدرته في الثامن والعشرين من كانون الاول ديسمبر، ان هذه الحملة تأتي «استكمالاً لما تقدمه المملكة من عون ودعم لصمود شعبنا وهو يواجه أشرس عدوان يهدد الامة كلها، ويدفع عنه وعنها هذا الغزو الوحشي، وذكرت في البيان ان مكرمة خادم الحرمين الشريفين تعبير عن التزام المملكة بدورها الاسلامي والعربي الريادي وشمول رعايتها لأشقائها العرب والمسلمين وتعبير عن روح الاخاء والتكافل بين الشعبين الشقيقين السعودي والسوري، ومؤازرة كريمة للمظلومين الذين يمارس النظام السوري وحلفاؤه ضدهم أبشع انواع الجرائم التي ادت الى قتل وتهجير الكثير ليُجِلوا محلهم مستوطنين من إيران وسواها يدينون بالولاء لنظام القتل والاستبداد ويخدمون مخططات نظام طهران التوسعية الحاقدة.

الائتلاف الوطني يُعزّي بوفاة المفكر صادق جلال العظم

الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية

تقدم الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية بخالص تعازيه لعائلة المفكر السوري الكبير ابن مدينة دمشق، وأحد أهم فلاسفة العرب في العصر الحديث، صادق جلال العظم، ولجميع أصدقائه ورفاقه، وسائر أبناء الشعب السوري، وأشاد الائتلاف عبر تصريح صحفي أصدره في الثاني عشر من كانون الثاني/ ديسمبر، بتاريخ الراحل الكبير، وبمساهماته الفكرية ودوره في دعم نضال الشعب السوري في الوصول إلى حقوقه، وبمواقفه المبدئية ضد السلطات الجائرة، مبينا ان سورية اليوم تفقد قامة فكرية وفلسفية، ورمزاً ثقافياً أورث الأجيال ميراثاً كبيراً سيُنير درب الحرية ويدعم مسيرة الوعي والتنوير.

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

١٠ فصائل ثورية تطلق مبادرةً لجمع الكلمة وتقريب وجهات النظر

الجمهورية العربية السورية
الجيش السوري الحر

بسم الله الرحمن الرحيم

استجابة لأمر ربنا جل وعلا وتلبية لنداء شعبنا السوري الكريم الأبي الذي ثار وينادي بتوحيد الصفوف وجمع الكلمة، ونظراً لما تمر به ثورتنا المباركة من تحديات خطيرة من أعداء هذا الشعب العظيم فإننا نعلن إطلاق مبادرة لجمع الكلمة وتقريب وجهات النظر بين التشكيلات العسكرية والهيئات السياسية والشرعية والمدنية، بغية الوصول إلى تكتل قوي يحقق تطلعات الشعب السوري والعمل لتحقيق أهداف ثورة الحرية والكرامة

وإننا إذ نبشر أهلنا بهذه المبادرة لنضعها على أيديهم، كما نطلب منهم أن يشدوا على أيدينا، ونزيدهم من البشرى ضعفاً، فلا تهنوا ولا تحزنوا يا أهلنا فإن الأيام القادمة حاملة لما يشفي صدوركم ويسوء عدوكم ويرد كيد الكائدين بإذن الله العزيز القوي المتين، سائلين الله تعالى التوفيق والسداد والنصر على الأعداء، والحمد لله رب العالمين.

الموقعون:

جيش الإسلام (الشمال) — صقور الشام — فيلق الشام
جيش أهل الشام — الجبهة الشامية — فرقة الصفوة
لواء شهداء الإسلام (داريا) — الفوج الأول — أحرار الشرقية
لواء الفرقان (إدلب)

أطلقت ١٠ فصائل عسكرية ثورية مقاتلة في الشمال السوري في الثامن والعشرين من كانون الأول/ديسمبر، مبادرة لجمع الكلمة وتقريب وجهات النظر بين التشكيلات العسكرية والهيئات السياسية والشرعية والمدنية، بغية الوصول إلى تكتل قوي يحقق تطلعات الشعب، وأفاد بيان وقعت عليه ١٠ فصائل مقاتلة في الشمال السوري، بأنه "نظراً لما تمر به ثورتنا المباركة من تحديات خطيرة من أعداء هذا الشعب العظيم، فإننا نعلن إطلاق مبادرة لجمع الكلمة وتقريب وجهات النظر بين التشكيلات العسكرية والهيئات السياسية والشرعية والمدنية، بأيد ممدودة وقلوب مفتوحة، بغية الوصول إلى تكتل قوي يحقق تطلعات أبناء شعبنا، للاستمرار بالدفاع عن الشعب السوري والعمل لتحقيق أهداف ثورته المباركة، ثورة الحرية والكرامة"، وطالب الموقعون على البيان من الأهالي أن يشدوا على أيديهم، مؤكدين أن الأيام القادمة "حاملة لما يشفي صدوركم ويسوء عدوكم ويرد كيد الكائدين".

(البنيان المرصوص): سنعتقل أي وفدٍ للنظام يحمل بجعبته مصالحة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد ازدياد الحديث و انتشار الشائعات في الفترة الأخيرة عن عقد اجتماعات بهدف توقيع مصالحات في درعا بالتنسيق مع بعض الفصائل والشخصيات النافذة من شيعات ووجهاء مدينة درعا، و وجود وفود تقوم بالتنسيق بين النظام و الفصائل الموجودة في المدينة نعلن نحن الفصائل العاملة في غرفة البنيان المرصوص ما يلي:

١_ نرفض أي مبادرة للصلح و المهادنة مع نظام الأسد المجرم الذي عمل على تقتيل نسائنا و أطفالنا على مدى سنوات.

٢_ نحن أبناء مدينة درعا في غرفة عمليات البنيان المرصوص مستمرين بثورة الكرامة حتى إسقاط هذا النظام الفاجر جنبا إلى جنب مع أخواتنا في جميع أرجاء سوريا الحبيبة.

٣_ نؤكد نحن الفصائل العاملة في غرفة عمليات البنيان المرصوص بأنها ستقوم باعتقال أي وفد قادم من مناطق النظام يحمل بجعبته مبادرة الصلح بالإضافة إلى اعتقال أي شخص له صلة بوفيق الناصر وأزلامه وسنسعى لإحباط الروح المعنوية لدى المجاهدين في مدينة درعا.

٢٣/ ١٢/ ٢٠١٦

أعلنت غرفة عمليات (البنيان المرصوص) المقاتلة في مدينة درعا عبر بيان أصدرته في الثالث والعشرين من كانون الأول/ديسمبر، رفضها أي مبادرة للصلح أو المهادنة مع النظام، وأكدت أنها ستعتقل أي وفد قادم من مناطق النظام يحمل بجعبته مبادرة صلح، وأفاد البيان بأنه ازداد الحديث عن عقد اجتماعات بهدف توقيع مصالحات في درعا بالتنسيق مع بعض الفصائل والشخصيات النافذة من قيادات ووجهاء مدينة درعا، ووجود وفود تقوم بالتنسيق بين النظام والفصائل الموجودة في المدينة، وأردفت "نرفض أي مبادرة للصلح والمهادنة مع نظام الأسد المجرم الذي عمل على تقتيل نسائنا وأطفالنا على مدى سنوات"، مشيرة إلى الاستمرار في الثورة حتى إسقاط النظام"، وأكدت غرفة العمليات في بيانها، أنها ستعتقل أي وفد قادم من مناطق النظام يحمل بجعبته مبادرة الصلح، بالإضافة إلى اعتقال أي شخص له صلة بـ "وفيق ناصر"، (رئيس فرع الأمن العسكري في السويداء)، وأزلامه، ويسعى لإحباط الروح المعنوية لدى الثوار في مدينة درعا.

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

الحرب الإعلامية الروسية ضد الأمم المتحدة والشعب السوري

أصدر المتحدث باسم الهيئة العليا للمفاوضات بيانا صحفيا في الحادي والعشرين من كانون الأول، ذكر فيه انه ينبغي عدم السماح لنجاح الحرب الإعلامية الروسية، إذ أن تصريحها الكاذب بأن عملية الأمم المتحدة في جنيف قد وصلت إلى طريق مسدود هي محاولة فجة لقتل المحادثات، مبينا انه لا يمكن للكابوس الذي تعيشه بلادنا أن ينتهي إلا من خلال حل سياسي يضمن حكم الأكثرية، واحترام الحياة والحرية في ظل سيادة القانون. موكدا ان هذه هي القيم التي يرفضها الرئيس بوتين الذي يسعى إلى فرض سيادة العنف في سوريا، من خلال وكيله نظام الأسد، بالاشتراك مع حلفائه الإيرانيين،

وقال المتحدث عبر البيان إن روسيا وإيران تحاولان تقليص دور الأمم المتحدة وإطالة معاناة الشعب السوري، مستخدمتان بلادنا لأجل أطماعها التوسعية الاستعمارية ومصالحها السياسية، وإن المعارضة السورية تؤيد حلاً سياسياً، بالنيابة عن جميع السوريين الذين يرفضون العنف، يتم التوصل إليه من خلال المفاوضات في جنيف. كما ورحب بتصميم المبعوث الأممي الخاص لاستئناف العملية، باعتبارها السبيل الوحيد للوصول إلى سوريا خالية من الإرهاب والحروب التي يشنها الآخرون على أرضنا.

فصائل أنهتها (فتح الشام) تعلن استعدادها للعودة إلى الجبهات

أعلنت أربعة فصائل أنهتها جبهة فتح الشام، استعدادها للعودة إلى جبهات القتال، وتأجيل البت بالخلافات إلى حين دحر العدوان، وأصدر قادة اربعة فصائل في الخامس عشر من كانون الأول/ديسمبر بياناً أفاد بأنه: "نظراً لما آلت إليه أوضاع ثورتنا، واستجابة لمطالب شعبنا العظيم في توحيد الصفوف والتصدي للعدوان، ونزولاً عند رغبة شعبنا، ومعاهدين الله على بذل دمائنا رخيصة في الدفاع عنه وتلافي ما شجر من خلاف من بعض الفصائل، فإننا نعلن تجميد كافة الخلافات، وتأجيل البت فيها إلى حين دحر العدوان عن شعبنا وأرضنا"، وأكد الموقعون على البيان على جاهزيتهم للعودة إلى الجبهات للدفاع عن الأهالي، وفوضوا الدكتور "أيمن هاروش"، مسؤول مبادرة (رابطة أهل العلم في الشام) بتشكيل لجنة لإطلاق هذه المبادرة والإشراف عليها، وأشاروا إلى انهم ينتظرون الرد خلال أسبوع.

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

الائتلاف يدين جرائم «حزب الاتحاد الديمقراطي» بحق السوريين

أدان الائتلاف الوطني جريمة مليشيا حزب الاتحاد الديمقراطي في اختطاف مجموعة من النشطاء وأعضاء «الحزب الديمقراطي الكردستاني-سورية»، في محاولة لكسر إرادتهم وإجبارهم على تغيير مواقفهم، وسوقهم بالقوة للانضمام إلى صفوفها، وعمدوا بعد فشلهم في ذلك إلى إضرام النار بخيمة كانوا فيها مما أسفر عن استشهاد عزت خليل محمد، وعبدو محمد حبش، ومحسن خليل، فيما يعاني آخرون من إصابات خطرة، وعزى الائتلاف اهالي الشهداء وتمنى الشفاء العاجل للجرحى، كما أكد عبر بيان صحفي أصدره في التاسع عشر من كانون الأول أن هذه الجريمة وكل جريمة أخرى ارتكبت بحق الشعب السوري ستكون محل محاسبة ومعاقبة، ويدعو الدول ذات النفوذ لرفع الغطاء عن هذا الحزب وميليشياته وعدم السماح لهم بارتكاب مزيد من الانتهاكات والجرائم بحق الناشطين والمدنيين على حد سواء، وذكر الائتلاف أنه يدين هذه الجريمة، وسائر الجرائم المرتكبة بحق المدنيين وأعضاء «الحزب الديمقراطي الكردستاني-سورية»، ويحذر من استمرار هذه السياسات القمعية التي تهدف لقهر السوريين وصولاً إلى تهجيرهم وقتل إرادة الحرية لديهم.

(أنصار الشام) تعلن اندماجها في (جيش الإسلام)

أعلنت كتائب (أنصار الشام) عبر بيان صحفي أصدرته في الخامس عشر من كانون الأول/ديسمبر، اندماجها الكامل في جيش الإسلام، وجاء في البيان إن «الحرب اليوم في أرض الشام على أشدها، وقد تكالبت قوى الإرهاب من ميليشيات ودول لإبادة الشعب السوري الذي أراد أن يعيش بحرية وكرامة، فهذه حلب الشهباء تحاصر، ويُقتل فيها الأطفال والنساء والشيوخ، وتُقصف المنازل والمشافي، من قِبَل مجرمي روسيا وإيران والأسد، بينما العالم يشهد ويشاهد فلا يحرك ساكناً"، وأردف: "إذعاناً منّا لأمر الله تعالى ولأمر نبيه بالاعتصام والوحدة والقتال صفّاً واحداً، ونصرةً لأهلنا المستضعفين وإخوتنا المجاهدين في حلب، واستجابة لمطالب الأهالي من المدنيين وحاضنة الثورة في الداخل والخارج بجمع الكلمة وتوحيد الصفوف، نعلن -نحن كتائب أنصار الشام العاملة في الساحل السوري- الاندماج مع جيش الإسلام"، وأوضحن الكتائب عبر البيان أن هدف الاندماج "لنتعاون على البرّ والتقوى، ونقاتل معاً الميليشيات الطائفية والمرتزقة المحتلّين دفاعاً عن ديننا وشعبنا ووطننا"، ودعت كتائب أنصار الشام في ختام بيانها الفصائل جميعاً لاتخاذ خطواتٍ عاجلةٍ عمليةٍ لتوحيد الصف وجمع الكلمة.

حركة سورية الأم: بيان حول التفجيرات الإجرامية في تركية ومصر

قدمت حركة سورية الأم خالص العزاء لكافة أسر الضحايا في تركية ومصر وللمدنيين العزل في سهول نينوى ومدينتي الموصل والرقة، ولكل الأهالي وخصوصاً في سورية والأبرياء والمدنيين في حلب مدينة الشهادة والشهداء الذين يحصدهم القصف المتوحش تحت أنظار وسكوت العالم كله، ووضحت عبر بيان أصدرته في الثاني عشر من كانون الأول ديسمبر، انه تم جر سورية إلى حالة مأساوية غير مسبوقة من خلال نظام ديكتاتوري وصراعات إقليمية ودولية واسعة ، وتُدفع المنطقة بكاملها الآن إلى المزيد من أعمال العنف لتغذية الأحقاد والصراعات، مبينة إن التفجيرات الإرهابية في تركية (قرب محطة القطارات في اسطنبول) ، وكذلك داخل الكنيسة المرقصية (في العباسية – القاهرة) يراد منهما خلق حالات من الفوضى والنزاعات الاجتماعية، كما أن الفكر الإرهابي المتطرف لم ينشأ إلا برعاية خاصة بقصد إدخال كافة شعوب المنطقة في دوامات وحروب تُجهز على الجميع ، وعلينا أن نتكاتف وأن لا نكون جزءاً من هذه الصراعات ونحاربها بكل الطرق، وبكافة المستويات ، ويتعاظم دور المفكرين ورجال الدين والإعلاميين والفنانين والمثقفين في ذلك ، فما لم نتصد جميعاً لهذه الغارات المتوحشة فإن كل البلاد معرضة للفناء والفوضى، وستدفع ثمناً باهظاً إذا قبلت الانجرار في دوامات العنف والكراهية والنزاع.

وثائق الثورة السورية
أرقام وبيانات

الهيئة العليا للمفاوضات تدين استهدفت كاتدرائية القاهرة والجرائم الارهابية التي ارتكبت في اسطنبول

تقدمت الهيئة العليا للمفاوضات السورية بأحر التعازي للشعب المصري الشقيق، وعبرت عن استنكارها الشديد للجريمة الإرهابية التي استهدفت كاتدرائية الأقباط في القاهرة، واعتبرت عبر تصريح صحفي أصدرته في الثاني عشر من كانون الأول، هذا العمل الوحشي عدواناً على الإنسان وعلى الأديان، ومحاولة جديدة لإثارة الفتنة واعتداء على القيم الإنسانية السامية وعلى التآخي الاجتماعي ، وقدمت العزاء الخالص لأسر الضحايا الأبرياء، وشاطرتهم الحزن والإصرار على مكافحة الإرهاب بكل أشكاله، كما و قدمت الهيئة العليا للمفاوضات السورية بخالص التعازي والمواساة لشعب تركيا الشقيق و للحكومة التركية ولأسر ضحايا الجرائم الارهابية التي ارتكبت ضد الشعب التركي في اسطنبول والتي قضى ضحيتها عشرات من الابرياء، وهي جرائم تستهدف الانسانية جميعا، وأدانت هيئة المفاوضات العليا مرتكبي هذه الجرائم وتدعو الى مزيد من العمل الدولي المشترك للقضاء على الإرهاب بكل اشكاله.

مشايخٌ ودعاةٌ يفتون بحرمة تشكيل (جيش الأحرار)

طالب ١٢ شيخاً وداعية القائمين على (جيش الأحرار) المشكّل حديثاً من اندماج عدد من كتائب وألوية حركة أحرار الشام الإسلامية، بالرجوع عن خطوتهم تلك، وأكدوا حرمة هذا التشكيل، لما في شقٍّ لصف "جماعة من أكبر الجماعات الجهادية في بلاد الشام"، وأفاد البيان الصادر في الثاني عشر من كانون الأول/ديسمبر، بأن الفصائل من نتاج الشعب والثورة، وهي ملك لكل حر ثائر، وليس لأشخاص بأعينهم، وأفتى الموقعون على البيان بحرمة "ما أقدم عليه بعض الإخوة في أحرار الشام من تشكيل تكتل ضمن الحركة متجاوزين نظامها وأميرها الذي رفضوا او نقضوا بيعته الشرعية التي انعقدت له وبايعه على السمع والطاعة بناء عليها أكثر أعضاء مجلس الشورى فيها"، ودعوا القائمين على التكتل الجديد والداعين له وداعميه إلى الرجوع عن خطوتهم، وحمّلوهم إثم "شق جماعة من أكبر الجماعات الجهادية في بلاد الشام".

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

١٢٠ شهيداً في مجازر بغازات سامة نفذها طيران روسيا بريف حماة والرقة

الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية

أدان الائتلاف الوطني جرائم نفذتها طائرات الاحتلال الروسي ونظام الأسد، باستخدام صواريخ فراغية وقنابل ارتجاجية وغازات سامة، على عدة بلدات بريف حماة الشرقي، أدت إلى استشهاد ١٠٥ مدنيين على الأقل وإصابة قرابة ٣٠٠ آخرين بحالات اختناق، فيما استشهد ١٥ مدنياً بغارات على مدينة الرقة، واستخدم في الغارات غاز السارين السام، وأكد الائتلاف عبر تصريح صحفي أصدره في الثاني عشر من كانون الأول/ ديسمبر، أن تحقيقاً دولياً فورياً يجب أن يفتح حول ما تمثله من خرق للقانون الدولي، وارتكاب جرائم الحرب، وخرق قرارات مجلس الأمن وعلى رأسها القرار ٢١١٨، مؤكداً أن الجهات المسؤولة عن هذه الجرائم يجب أن تواجه نتائج أفعالها، وأوضح الائتلاف عبر البيان ان هذه المجازر تجدد معالم لجريمة العصر التي ارتكبها نظام الأسد بحق المدنيين في الغوطة الشرقية عام ٢٠١٣، دون أن ينال المجرمون العقاب اللازم، وهو ما فتح الباب أمام عشرات الجرائم والمجازر وصولاً إلى اليوم، وسيفتح الشلل الدولي مزيداً من الأبواب أمام جرائم قادمة في سورية وخارجها ما دامت مؤسسات المجتمع الدولي عاجزة ومعطلة، واستنكر الائتلاف المواقف الدولية المشينة التي ساهمت في وصول الأمور إلى هذا المستوى من الإجرام السافر، حيث يسقط مئات الشهداء والجرحى ضحية الغازات الكيماوية، بينهم أطفال ونساء، وتتناقل وسائل الإعلام صورهم، دون أن يحرك ذلك قدراً من الإحساس الإنساني لدى المجتمع الدولي، أو أي من أطرافه، للقيام بما من شأنه وقف هذا الإجرام المستمر.

١٧ فصيلاً عاملاً في (أحرار الشام) يندمجون ويشكلون (جيش الأحرار)

أعلن ١٧ فصيلاً مقاتلاً في صفوف حركة أحرار الشام الإسلامية، عبر بيان صحفي أصدرته في العاشر من كانون الأول/ ديسمبر، اندماجهم الكامل وتشكيل (جيش الأحرار) بقيادة المهندس "هاشم الشيخ"، وأفاد البيان بأنه حرصاً على وحدة الصف في حركة أحرار الشام، وزيادة الفاعلية العسكرية في الساحة، لرد العدو الصائل، أعلن ١٦ لواءً وكتيبةً عاملةً في الحركة، اندماجها تحت مسمى (جيش الأحرار) بقيادة المهندس "هاشم الشيخ" (أبو جابر)، والألوية والكتائب المشكلة لـ (جيش الأحرار) هي: (لواء التمكين، لواء عمر الفاروق، لواء احرار الجبل الوسطاني، لواء اجناد الشريعة، لواء أنصار الساحل، لواء أنصار حمص، كتيبة أبو طلحة الأنصاري، الجناح الكردي، كتائب حمزة بن عبد المطلب في الشمالي، كتيبة قوافل الشهداء، كتيبة أحرار حارم، كتيبة شيخ الإسلام، كتيبة الطواقم، لواء المدفعية والصواريخ، لواء المدفعية الرديف، لواء المدرعات).

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

الائتلاف يدين مجازر ريف إدلب ويدعم عقد جلسة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة

الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية

أدان الائتلاف الوطني قصف طائرات نظام الأسد وروسيا عدة أحياء وتجمعات سكنية وسوقاً ومركزاً للدفاع المدني في بلدتي كفرنبل ومعرة النعمان ومناطق أخرى بمحافظة إدلب، ما أسفر عن استشهاد ٥٦ مدنياً، بالإضافة إلى عشرات المصابين والجرحى، وأكد عبر بيان صحفي أصدره في الرابع من كانون الأول، أنها تندرج في سياق مشروع إجرامي تنحصر أجندته في القتل والسعي لإفناء وتهجير الشعب السوري المناضل من أجل حريته، كما وندد بكل المواقف التي تراهن على انكسار إرادة الشعب السوري، مؤكداً أن ذلك لن يساهم إلا في مزيد من الموت والدمار، وأكد الائتلاف على الأهمية القصوى لعقد جلسة استثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة، بعد الفشل المستمر لمجلس الأمن في التعامل مع الكارثة والقتل والتهجير المستمر الذي يتم ارتكابه بحق السوريين على مدار سنوات، ويحمل جميع دول العالم مسؤولية ما يجري بحق السوريين، معتبر الجلسة المقبلة للجمعية العامة فرصة أخيرة لإنقاذ ملايين من أبناء سورية والمنطقة، كما و توجه الائتلاف بالشكر لجميع النشطاء حول العالم الذين يتحركون للضغط على روسيا والتنديد بدعمها للنظام وقصفها للمدنيين في سورية.

الهيئة العليا للمفاوضات تطالب بإيقاف المجازر في حلب

الهيئة العليا للمفاوضات
مؤتمر الرياض لقوى الثورة والمعارضة السورية

أقرت الهيئة العليا للمفاوضات بعد اجتماعها الدوري في الرياض على مطالبة مجلس الأمن و كل الدول الصديقة والمجتمع الدولي عامة الاضطلاع بمسؤولياتهم والعمل الفوري لإيقاف القصف والمجازر التي تتعرض لها عدة مناطق في سورية و حلب بشكل خاص ، وللسعي الحثيث لإدخال المساعدات الإنسانية غير المشروطة.وأكدت الهيئة في بيان لها أن سلسلة الجرائم المريعة التي ارتكبها النظام ضد شعبه تنزع عنه كل شرعية يدّعيها، وبخاصة بعد أن استدعى دولاً وميليشيات طائفية تغزو سورية وتسيطر بقواها العسكرية والسياسية على مقدراتها وتنهتك سيادتها الوطنية، وتتيح الفرصة للفوضى التي جعلت سورية ساحة صراعات ومرتعاً لقوى الإرهاب، كما وشددت على رفض كل التفاف على مطالب الشعب وكل محاولات إضعاف المعارضة الوطنية والمشاريع التي تهدف إلى تقديم تنازلات عن مطالب الشعب في الانتقال السياسي الكامل كما حددته القرارات الدولية وبخاصة القرار ٢٢٥٤ لعام ٢٠١٥ المستند إلى بيان جنيف عام ٢٠١٢ ، وأقرت عبر بيانها الصار في الرابع من كانون الأول، على تأكيدها المستمر على التزامها بالعملية السياسية التفاوضية المؤدية إلى الانتقال السياسي وفق بيان جنيف ٢٠١٢وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة ٢١١٨ و ٢٢٥٤ ، وعلى متابعة السعي لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة لإصدار قرار لحماية الشعب السوري وفق قرارات الشرعية الدولية وذلك استناداً الى مبدأ (الاتحاد من أجل السلام).

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

(قسد) تعلن مشاركة تيار (الغد السوري) في المرحلة الثانية من عملية الرقة

أعلن تحالف قوات سوريا الديمقراطية (قسد) عن إطلاق المرحلة الثانية من معركة "غضب الفرات" ضد تنظيم "داعش"، التي تهدف إلى عزل مدينة الرقة، مؤكدةً عبر بيانٍ أصدرته في العاشر من كانون الأول/ديسمبر، انضمام تيار (الغد) إلى الحملة، وذكرت (قسد) في بيانها إن المجلس العسكري لقوات سوريا الديمقراطية اتخذ قرار البدء بالمرحلة الثانية من الحملة، والتي تهدف إلى السيطرة على كامل الريف الغربي من الرقة، إضافة إلى عزل المدينة، واستمرار الحملة حتى تحقيق كامل أهدافها، وشدد بيان (قسد) على تنسيقهم مع التحالف الدولي ما زال مستمراً "بشكل فعال ومثمر"، مضيفاً "هذا التنسيق سيكون أقوى وأكثر تأثيراً أثناء المرحلة الثانية من الحملة حتى تحقيق النصر الكامل على الإرهاب"، وذكرت (قسد) أن "المرحلة الأولى من حملتها انتهت بنجاح كبير، تم فيها تحرير مساحة ٧٠٠ كم٢ والعشرات من القرى أضافة عدة بلدات وطرق استراتيجية، وكسر دفاعات تنظيم داعش الإرهابي في الريف الشمالي من الرقة"، وأعلنت أن حملة "غضب الفرات" تتوسع أكثر بانضمام فصائل وقوى أخرى للحملة، منها المجلس العسكري لدير الزور، وقوات النخبة التابعة لتيار الغد السوري الذي يقوده "أحمد الجربا" الرئيس السابق للائتلاف السوري المعارض، وكذلك لواء ثوار الرقة. إضافة الى انضمام ١٥٠٠ مقاتل من المكون العربي من أبناء الرقة وريفها مؤخراً، بعد تدريبهم وتسليحهم على يد قوات التحالف الدولي، ودعت (قسد) أهالي الرقة وريفها إلى "الابتعاد عن أماكن سيطرة التنظيم وأخذ التدابير اللازمة لحين وصول قواتنا اليهم اضافة الى التزامهم بالقرارات الصادرة عن قواتنا بغية حمايتهم وتأمين مناطقهم".

فصيلٌ خامسٌ يعلن انضمامه إلى تحالف (جيش الثورة) في درعا

أعلن تحالف (جيش الثورة) الذي تم تشكيله قبل أيام في الجنوب السوري، عن انضمام فصيلٍ خامس له اليوم الجمعة، بناء على طلبٍ من "ألوية قاسيون" التي كانت أبدت رغبتها بالانضمام.

أصدر "جيش الثورة" بياناً في التاسع من كانون الأول، أعلن من خلاله عن انضمام فصيل خامس له بناء على طلب «ألوية قاسيون»، وأكد على اعتبار تجمع ألوية قاسيون من تاريخ صدور البيان إحدى ركائز تحالف جيش الثورة، موضحاً أن طلب الانضمام أصدره القائد العام لألوية قاسيون "كنان العبد".

وثائق الثورة السورية

أرقام وبيانات

الهيئة العامة في الغوطة الشرقية تدعو قادة فصائل لتنفيذ مبادرة (جيش الإنقاذ)

دعت الهيئة العامة في الغوطة الشرقية قادة الفصائل في الغوطة الشرقية إلى الاجتماع الفوري، لوضع مبادرة جيش الإنقاذ الوطني موضع التنفيذ الفعلي، وفي بيان للهيئة العامة في الغوطة الشرقية، أصدرته في الأول من كانون الأول/ديسمبر، حيّت فيه صمود أهالي حلب الشرقية وأدانت صمت وعجز وتواطؤ المجتمع الدولي وأصدقاء الشعب السوري عن المجازر والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب التي يقترفها الاحتلال الروسي الإيراني، وذراعه النظام، بحق المدنيين في حلب والغوطة الشرقية ومناطق أخرى، وأضافت بأن المحرقة التي يتعرض لها المدنيون في حلب والمخاطر على الثورة السورية عموماً والغوطة الشرقية خصوصاً، توجب على قادة الفصائل في الغوطة الشرقية الاجتماع الفوري ودون مماطلة أو تسويف، لوضع مبادرة جيش الإنقاذ الوطني موضع التنفيذ الفعلي وتحمل مسؤولياتهم الشرعية والأخلاقية والوطنية تجاه ما يجري، وأشارت إلى أنه لا يمكن الحديث عن مصالحة وطنية حقيقية ما لم يسبقها وقف شامل لإطلاق النار على مستوى سوريا كاملةً، وإطلاق سراح المعتقلين، بالتزامن مع خطوات جدية لتحقيق العدالة الانتقالية، وخطة واضحة للسلام الدائم وإعادة الإعمار والتنمية المستدامة ضمن إطار الحل السياسي على المستوى الوطني، مؤكدة أن كل الجرائم لن تثني الشعب عن تحقيق تطلعاته في الحرية والكرامة، ولن تدفعه للرضوخ لمنطق الاستسلام الذي يسوقه - زوراً - النظام المجرم وأزلامه وداعموه تحت مسمى المصالحة الوطنية.

بين الحبر و الدم

محمد صارم

ربما لم يخطر ببال فيديل كاسترو وهو يقرأ رواية صديقه غابريل غارسيا ماركيز «خريف البطريك» بأنه سيستعيد سيرتها شخصيا ليكون نسخة من بطلها العجوز، دكتاتورا معزولا في قصره، يطعم دجاجاته، أو يتسلى بهواجسه المريضة، ربما قهقه وهو يقرأ مقاطع منها رافعا حاجبيه إعجابا بمخيلة صديقة الروائي، وربما قال في ذاته: على مثل هولاء الطغاة خرجنا ثائرين، أحسنت يا غابريل ، أحسنت يا صديقي! هذا هو الأدب الثوري.

ومع هذا من الممتع تخيل فيديل كاسترو يعود لقراءة الرواية بعد أربعين عاما أي قبل وفاته بعام واحد، لا احد يدري ما الهواجس التي ستنتابه، ولا الانفعالات التي ستصيبه، ربما التمع سؤال في باله: هل هذا انأ؟ أتلك صورتي؟ لا بالطبع، يجيب نفسه، فلا شيء في شخصيتي يشبه هذا العجوز الخرف المضحك، هذا العجوز الذي ينفصل عن الشعب، هو ديكتاتور مشبع بالنزوات ! وأنا زعيم ثائر أتيت باسم الشعب إلى السلطة، كما إنني تخليت عنها أخير بمحض إرادتي!.

هو طاغية أفنى حياته يبحث عن المجد فضيعه ولم يجد الحب، أما أنا فنلت الاثنين معا: المجد والحب.

واقع الحال لم يتحول فيدل كاسترو إلى نسخة مطابقة لتلك الصورة الكاريكاتورية التي يمثلها الطاغية، ولم يظهر له فتق ضخم في الخصية، ولم يكن أبا لخمسة آلاف مولود موزعين في المدينة، نتاج علاقاته الغرامية كما حصل مع طاغية الرواية ، ولكن سياقا عاما مثلته شخصيته لم تكن اقل هزلية من بطل الرواية المحدد، ربما يتمثل في أبوته المعنوية لكل سكان كوبا، وربما «للثائرين القدامى» في العالم طيلة نصف قرن، تلك الأبوة التي لم تكن خيارا للشعب الكوبي، وربما أيضا، يتمثل في الطريقة التي تخلى فيها عنها عن السلطة، ولمن.

وإذا كانت شخصية كاسترو تشكل حالة عرضية من الموضوع فان شخصية الروائي غابريل غارسيا تشكل الجانب الأبرز منه، لتفتح الباب على الأسئلة العالقة بين الأدب والسياسة كحالة قديمة متجددة، لا تكف عن الظهور إلى السطح مع كل متغير محلي أو عالمي عند افتراق الكاتب عما يقوله في أدبه.

«قتلت العقيد أورليانو» بهذه الكلمات نطق الروائي غابريل ماركيز وهو يدخل على زوجته باكيا، ثم ينسحب إلى غرفته ليتابع نحيبه منفردا، كما يروي لاحقا.

والعقيد اورليانو هو الشخصية المحورية في روايته مائة عام من العزلة، وهو يمثل روح ماكندو العميقة، تلك القرية التي بناها الكاتب من مخيلته، وعاصرها عبر أجيالها، مختصرا بذلك تاريخ أمريكا اللاتينية بشكل ما، من وجهة نظره.

وعلى النقيض من ذلك تماما، يسير الكاتب ببطل روايته خريف البطريرك إلى حتفه كجثة تتفسخ تباعا، وتنتشر روائحها مثل غيمة معلقة، لا تتزحزح، فوق سماء المدينة، دون أي حس من التعاطف أو الشفقة، بل، ومصحوبا بنوع من الشماتة التي يفضحها اكتشاف الطاغية المتأخر بان ما كان ينقصه» ليس الشرف بل الحب».

يشير الفارق بين الموتين في الروايتين إلى موقف الكاتب الكولومبي، ليس من شخوصه فحسب، بل من مواقفه الإنسانية والوجدانية في الحياة الفعلية، والتي ترقى في مضامينها إلى محاكمته السياسية لما يجري حوله، ومواقفه من المحيط والأحداث.

ولكن ماذا لو التقى الكاتب بأحد شخوص رواياته مجسدا في الواقع؟ هل سيجري عليه نفس قياساته الأدبية، ويضعه في خانات مواقفه ذاتها؟أم سيتنكر لمعياره الذاتي؟ ويدخل في صلب العلاقة معه تحت قبة المبررات المعلنة.

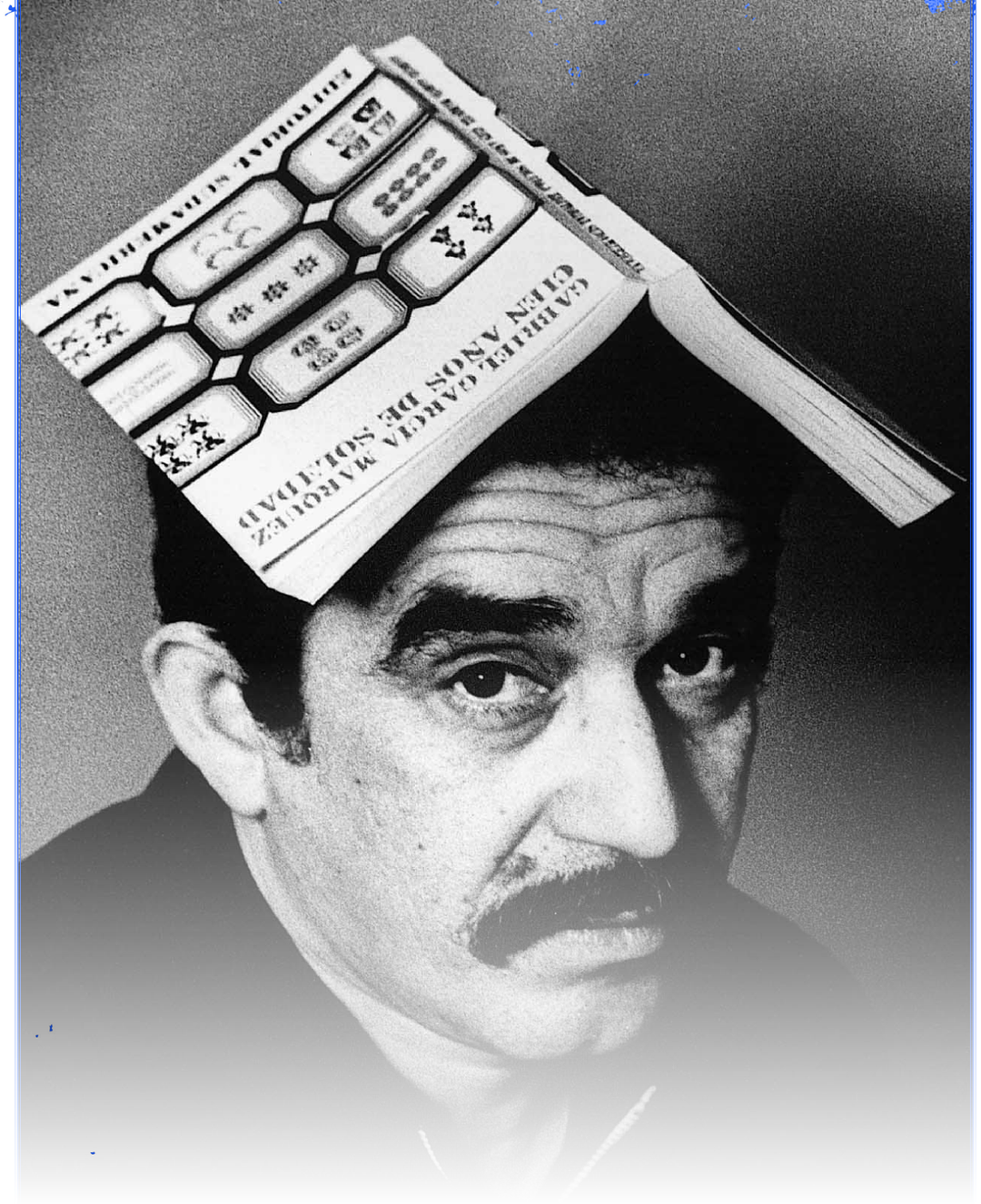

في الواقع خضع ماركيز لكثير من الانتقادات السياسية حول علاقته مع صديقه وقارئه الأول فيديل كاسترو، وكان رده عليها محبطا للغاية، ومردودا عليه بقوله: انه يساعد الكثير من الفارين من كوبا، كما أن تلك العلاقة ساعدته بإطلاق سراح بعض السجناء السياسيين في كوبا، وذلك فق رده على منتقديه.

لعل مبررات ماركيز الداخلية تستند إلى تاريخ العلاقة القديمة بين الرجلين ، إلى زمن لم يكن كاسترو، فيه، مصنفا كواحد من الطغاة المتربعين على عرش السلطة الأبدي، ولكن ذلك لا يلغي صداما مباشرا بين القيمة التي يمثلها أدبه عموما، وتحتل رواية خريف البطريرك ذروة فيها عبر نقدها للطغيان ونزوعها إلى الحرية، وبين مواقفه الشخصية، كما لا يمكن التعويل على تلك الانتقادات العابرة له في بعض مقابلاته عن نقص الحريات في كوبا، وبين استمرار علاقته الشخصية مع كاسترو كرمز

> هو طاغية أفنى حياته يبحث عن المجد فضيعه ولم يجد الحب، أما أنا فنلت الاثنين معا: المجد والحب

قامع للحريات.

من المألوف في نقد الشخصية إخضاعها للمعيار العام الذي تتحرك في إطاره وفق المنطق والقيم السائدة، أو المطلوبة، وهو نقد يمكن له أن يحمل شيئا من التجني وفق ملابسات الشخصية وظروفها ودوافعها، لكن نقد الشخصية وفق منطوقها الخاص يحمل دلالة أعلى في حال انزياحها عنه، وهو أمر يمكن إخضاع الشخصيات الواقعية والروائية له على حد سواء، للكشف عمن مدى صدقيتها، وانسجامها مع الذات.

في الفضاء السوري شكلت ثنائية «كاسترو ماركيز» بمفهومها العام شكلا حادا من الاستقطابات والانقسامات على خلفية العلاقة بين الفنان والطغيان، لتسأل عن تشابك الشخصي بالادبي، وعن جدوى الموقف الفني، ودلالاته التعبيرية، في حالة انحياز المؤلف إلى دائرة الجلاد، سواء في الموقف من شخصه أو سياساته.

غير أن ثنائية كاسترو ماركيز لا تنطبق على الحالة السورية إلا في حدها الأدنى، وربما في تاريخ يعود إلى زمن سابق للثورة، في إطار المجتمع الساكن شكلا، تحت مروحة الشمولية، وانعدام إمكانية الفعل أو الموقف.

(قتلت العقيد أورليانو) بهذه الكلمات نطق الروائي غابريل ماركيز وهو يدخل على زوجته باكيا، ثم ينسحب إلى غرفته ليتابع نحيبه منفردا، كما يروي لاحقا

ثنائية كاسترو ماركيز كانت مموهة ومختبئة تحت ظلال الزمن البارد، لكنها في الحالة السورية تجاوزته لتؤسس برهة مطلقة بذاتها، وتغدو تأصيلا للفكرة، من أعمق جوانبها،إلى حدود نهاياتها.

هي حالة ستدفع بالموقف المطل على الدم والخراب إلى عتبة المعيار المطلق بين الإنسانية واللا إنسانية، تلك الحالة التي تتجاوز بشوط بعيد إشكالية العلاقة بين الشخصي والأدبي، لتصل إلى جوهر التفريق بين الإنسانية والوحشية، ولتنتقل من بعدها الثقافي أو مجالها النخبوي إلى حدود كونها قضايا رأي عام من الحبر والدم في لحظة امتزاجهما.

الفارين من كوبا، كما أن تلك العلاقة ساعدته بإطلاق سراح بعض السجناء السياسيين في كوبا، وذلك فق رده على منتقديه.

لعل مبررات ماركيز الداخلية تستند إلى تاريخ العلاقة القديمة بين الرجلين ، إلى زمن لم يكن كاسترو، فيه، مصنفا كواحد من الطغاة المتربعين على عرش السلطة الأبدي، ولكن ذلك لا يلغي صداما مباشرا بين القيمة التي يمثلها أدبه عموما، وتحتل رواية خريف البطريرك ذروة فيها عبر نقدها للطغيان ونزوعها إلى الحرية، وبين مواقفه الشخصية، كما لا يمكن التعويل على تلك الانتقادات العابرة له في بعض مقابلاته عن نقص الحريات في كوبا، وبين استمرار علاقته الشخصية مع كاسترو كرمز قامع للحريات.

من المألوف في نقد الشخصية إخضاعها للمعيار العام الذي تتحرك في إطاره وفق المنطق والقيم السائدة، أو المطلوبة، وهو نقد يمكن له أن يحمل شيئا من التجني وفق ملابسات الشخصية وظروفها ودوافعها، لكن نقد الشخصية وفق منطوقها الخاص يحمل دلالة أعلى في حال انزياحها عنه، وهو أمر يمكن إخضاع الشخصيات الواقعية والروائية له على حد سواء، للكشف عمن مدى صدقيتها، وانسجامها مع الذات.

غير أن ثنائية كاسترو ماركيز لا تنطبق على الحالة السورية إلا في حدها الأدنى، وربما في تاريخ يعود إلى زمن سابق للثورة، في إطار المجتمع الساكن شكلا، تحت مروحة الشمولية، وانعدام إمكانية الفعل أو الموقف

في الفضاء السوري شكلت ثنائية «كاسترو ماركيز» بمفهومها العام شكلا حادا من الاستقطابات والانقسامات على خلفية العلاقة بين الفنان والطغيان، لتسأل عن تشابك الشخصي بالادبي، وعن جدوى الموقف الفني، ودلالاته التعبيرية، في حالة انحياز المؤلف إلى دائرة الجلاد، سواء في الموقف من شخصه أو سياساته.

غير أن ثنائية كاسترو ماركيز لا تنطبق على الحالة السورية إلا في حدها الأدنى، وربما في تاريخ يعود إلى زمن سابق للثورة، في إطار المجتمع الساكن شكلا، تحت مروحة الشمولية، وانعدام إمكانية الفعل أو الموقف.

ثنائية كاسترو ماركيز كانت مموهة ومختبئة تحت ظلال الزمن البارد، لكنها في الحالة السورية تجاوزته لتؤسس برهة مطلقة بذاتها، وتغدو تأصيلا للفكرة، من أعمق جوانبها،إلى حدود نهاياتها.

هي حالة ستدفع بالموقف المطل على الدم والخراب إلى عتبة المعيار المطلق بين الإنسانية واللا إنسانية، تلك الحالة التي تتجاوز بشوط بعيد إشكالية العلاقة بين الشخصي والأدبي، لتصل إلى جوهر التفريق بين الإنسانية والوحشية، ولتنتقل من بعدها الثقافي أو مجالها النخبوي إلى حدود كونها قضايا رأي عام من الحبر والدم في لحظة امتزاجهما.

الزوجة الثانية
وقهر الشعوب

سما حسن

شاهدت قبل أيام فيلم الزوجة الثانية واستمتعت بمشاهدته رغم أنها المرة العاشرة أو أكثر، ولكن في كل مرة أشعر بنفس المتعة واستخلص نفس الرسائل التي أرادها صناع الفيلم رغم مرور سنوات كثيرة على إنتاجه إلا أنه لا زال صالحا لكل زمان ومكان كرسائل موجعة وصفعات على وجه من يعنيهم الأمر.

ففيلم « الزوجة الثانية» يعتبر واحدا من الأفلام التي أختيرت كأهم مائة فيلم في تاريخ السينما الفلسطينية، وهو الفيلم الذي أنتج في العام ١٩٦٧ وكان من اخراج المخرج الرائع صلاح أبو سيف ، ومن بطولة أربعة من كبار النجوم هم صلاح منصور وسعاد حسني وسناء جميل وشكري سرحان، على الرغم من أن كل من قام بدور صغير في هذا الفيلم يعتبر بطلاً « مدة عرضة ١٢٠ دقيقة.»

يأخذنا الفيلم للريف المصري وهو صورة مصغرة لأي نظام حاكم مستبد في أي زمان ومكان، وحيث أجاد المخرج صلاح أبو سيف اختيار كادرات تصوير أجواء القرية المصرية من حيث الملابس واللهجة ومعالم القرية التي يعرفها كل فلاح والتي ان غابت في الوقت الحالي ولكن لازال هذا الفيلم من اهم مصادر التوثيق لهذه القرية التي عاث فيها العمدة ومواليه فسادا وظل القهر والظلم هو سيد الموقف منذ بداية الأحداث، ولتصبح نهاية الفيلم وهي انتصار الفلاحة المنكسرة التي طلقت من زوجها قسرا وظلما هي النموذج للشعوب التي يجب أن تقتلع شوكها بيدها وتخوض معارك حريتها بنفسها دون مساعدة من أحد فلا قانون ينصفها، ولا دين يقف بشرائعه بجوارها، ولكن قوتها وحبها لاسرتها ولأطفالها « أمل المستقبل» وايمانها بعدالة قضيتها أعطوها القوة والمكر والدهاء لتكيد للعمدة وتنتصر عليه بعد ان اكتشفت نقاط ضعف شخصيته فهو على الرغم من انه يبدو قويا ومتسلطا أمام الفلاحين، ولديه الحيلة والمكر للتحايل على القانون إلا أنه يمتلك ضعفا رهيبا أمام النساء جعل هذه الحسناء البسيطة» سندريلا الشاشة المبدعة سعاد حسني» تستطيع أن تنتصر عليه وتعيد الحقوق التي سلبها لأهل القرية لأصحابها على مرأى ومسمع منه، وكذلك تعود لزوجها وأطفالها وتحمل من زوجها رغم الزواج الصوري الذي عقده المتواطئين مع العمدة بحجة أن عليها هي وزوجها كمواطنين مخلصين ومحبين للبلد أن يطيعا أولي الأمر .

فيلم «الزوجة الثانية» هو رسالة كل زمان كما قلت، فلولا وجود الشعب الصامت المقهور ووجود طبقة من هذا الشعب تتسم بموت الضمير وتبيع مبادئها وأخلاقها من أجل مهادنة الحاكم وتحقيق مصالح خاصة على حساب الآخرين، لما كان هناك هذا الحاكم المتغطرس وهو العمدة الذي تدجج بالغطرسة وازداد سطوة بسبب سكوت الشعب واصطفاف هذه الشرذمة حوله وتحليل الحرام وتحريم الحلال، وبسبب استطاعة هذا الفيلم توصيل رسالته فقد ظل محتفظا بسحره رغم مرور نصف قرن على انتاجه، وجعلنا لا نتردد عن مشاهدة هذا الفيلم أكثر من مرة وكأننا نراه لأول مرة، فالمؤلف وضع أبعادا رمزية كثيرة في قصته وفي نفس الوقت كان حريصا على الا يقع الفيلم تحت مقص الرقيب من خلال هذا الرمز، وذكرنا فيلمه بما كان يشاهده أجدادنا من خلال « صندوق الدنيا» فالقصص ذات العبر والمواعظ والتي تنتقد الحاكم، وتسخر من سكوت العامة تتكرر أمام شاشة عرض الصندوق وتمر في الحواري والأزقة تحت سمع ونظر الحاكم الذي لم يأخذ بعضها مأخذ الجد وأفسح لنفسه مكانا ليشاهدها من خلال فتحة الصندوق الصغير، ولكنها كانت بذرة ثورة، ونواة نضال وشعلة تحرر.

استطاع صلاح ابو سيف أن يختار الأبطال بعناية وتفوقت الشخصيتان النسائيتان على الشخصيتين الرجوليتين في رسالة واضحة من الكاتب « أحمد رشدي صالح» أن المرأة هي نصف المجتمع، وأن دهاء زوجة العمدة وتسلطها لا يساوي شيئا أمام ارادة الأمهات، والزوجات الكادحات والمقهورات اللواتي ينتصرن من خلال أطفالهن ودموعهن، ولم يغفل الكاتب ان يرينا الجانب الخفي من شخصية كل حاكم مستبد فهو ضعيف أمام زوجته الثرية المتغطرسة كضعف حكام هذه الأيام أمام الأم الكبرى « أمريكا» وشراهة الحاكم « العمدة» للنساء والمال هي أول خطوات سقوطه في الهاوية، ولكن الزوج الغلبان المقهور الذي أجاد تصويره شكري سرحان له مشاهد لا تنسى لأنه صورة مصغرة لشعب يدفن رأسه في الرمال فمرة يحدث نفسه ومرة يلوذ بأمه الكفيفة ومرة يحتكم للدين المتآمر مع السلطة، فأحداث الفيلم وشخصياته بمختصر القول هو أي شعب بكل تياراته وفئاته،وانتصار الشعب بكافة فئاته أيضاً مع عدم تهميش دور المرأة ولا الجيل الجديد وهو الأمل القادم في إشارة للجنين الذي حملت به الزوجة الثانية المقموعة والمقهورة والتي أعلنت تمردها وانتصرت.

الثورة السورية والربيع العربي

من منظور المفكر الأمريكي الإيراني حميد دباشي في كتاب «هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟»

غسان ناصر

أقدّم الناشر الفلسطيني السوري خالد سليمان الناصري، مؤسس وصاحب «منشورات المتوسّط» في ميلانو الإيطالية، على ترجمة الأعمال الثلاثة الأخيرة للمفكر الأمريكي (الإيراني الأصل) حميد دباشي، التي اقترح لها عنوانًا موحّدًا هو «ثلاثيّة الانتفاضة»، تكريمًا منه لحركة التحرّر الوطنيّ الفلسطينيّ، والكتاب الذي سنستعرضه هنا هو ثالثها؛ وعنوانه «هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟»، والذي صدر في العام ٢٠١٦، وهو مجموعة مقالات ومداخلات حول الثورة السورية وانتفاضات الربيع العربيّ، والحركة الخضراء في إيران، وكذلك السياسات الأمريكية تجاه إيران الرسمية، وقد كتبت في فترات زمنية مختلفة تمتد من عام ٢٠٠٧-٢٠١٣، وهي تتقاطع مع الواقع السياسيّ الذي شهدته المنطقة العربيّة عامّة، وسوريا خاصّة.

وقد أنجز ترجمة الكتاب، الذي صدر بعد شهور قليلة من صدوره باللغة الانجليزية العام الماضي، المترجم السوري عماد الأحمد، وكان منطلقه ذلك السؤال المستفز، الذي نشر مطلع العام ٢٠١٣ كعنوان مقالة في موقع الجزيرة الإنجليزي، وأثار زوبعة من النقاش بين أشهر فلاسفة أوروبا المعاصرين.

سلافوي جيجك ودوائر الفكر الضيقة..

ينتقد حميد دباشي (أستاذ كرسي «هاكوب كيفوركيان» بقسم الدراسات الإيرانية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا)، في كتابه الذي جاء في ٣٦٠ صفحة من القطع المتوسط، المفكرين الأوروبيين وفي مقدمتهم المفكر الماركسي والناقد الثقافي السلوفيني سلافوي جيجك بأنهم لايزالون في الدوائر الضيقة الخاصة بهم وبعيدين عن التحولات التي طرأت في العالم العربي. مذكرًا بأن حالة الاستعمار أدت إلى وضع معين في انتاج المعرفة في جميع أنحاء العالم الاستعماري «من آسيا إلى أفريقيا إلى أمريكا اللاتينية والتي ندرسها اليوم ونسميها «مابعد الاستعمار»». إلا أن دباشي يتخطى هذه الخلاصة للقول: «زعمت

> **حالة الاستعمار أدت إلى وضع معين في انتاج المعرفة في جميع أنحاء العالم الاستعماري ÷من آسيا إلى أفريقيا إلى أمريكا اللاتينية والتي ندرسها اليوم ونسميها (مابعد الاستعمار)**

في كتبي عن الثورة العربية والحركة الخضراء في إيران كما اتضح من هذه الانتفاضات الثورية أن أشكال انتاج المعرفة في حقبة ما بعد الاستعمار قد استنفدت نفسها».

يضع دباشي هذه المقدمة ليقول لـ جيجك والكثير من فلاسفة أوروبا الذين لايزالون يستشهدون بكتابات مفكرين مابعد الاستعمار مثل فرانز فانون بأن شروط انتاج المعرفة في تلك الحقبة تغير عن اليوم. وهو يتساءل هنا عما يحدث حين يفكر المفكر خارج إطار الفلسفة الأوروبية، ويتطرّق إلى الطريقة التي نفكر بها لفهم العالم، وكيف أنها منبثقة دائمًا من مدارس فكرية أوروبية مختلفة، وتعتقد أن الوحيدين القادرين على تفسير الحقيقة هم فلاسفة أوروبا. كما لو أن على العالم أن يفسر نفسه، رغم كل الاحتمالات المعرفية الموجودة، وفقًا للرجل الأوروبي الذي يعيش في رؤوسنا فقط ويسأل الأسئلة.

وفي محاولة لصياغة منظور جديد في «نظرية ما بعد الاستعمار»، يتساءل دباشي: «ما الذي يحدث للمفكرين الذين يشتغلون خارج السلالة الفلسفية الأوروبية؟». ومن خلال الخوض في هذه الجدلية الإشكالية، يناقش المفكر الأمريكي الإيراني اعتبارهم مهمّشين وموظّفين ومزيّفين. وهو وإن كان كمفكر ومؤرخ وناقد ثقافي ومنظر أدبي بارز قد بدأ كتابه هذا بسؤال «هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟»، فإنه انتهى منه بسؤال آخر هو: «هل يستطيع الأوروبي القراءة؟»، بمعنى قراءة فكر الآخر.

ويرى صاحب كتاب «إيران والحركة الخضراء والولايات المتحدة الأمريكية»، في متن هذا الكتاب، الذي يبدو للقارئ من خلال مقدمته التي حررها المؤلف أنه تحت «وطأة الإلحاح الرهيب للحاضر، وكشكل من أشكال الشهادة على التاريخ، خاصة في ظل الآثار المجتمعة للحركة الخضراء في إيران عقب انتخابات العام ٢٠٠٩، والثورات العربية التي لم تتحمل بعد اليوم ملل هذه التشعبات التافهة مثل «الإسلام والغرب»، و«الغرب وبقية العالم»، بمثابة استكمال لمقولاته ومراجعاته حول «النقد والإرث الفكري لمنظري حقبة ما بعد الاستعمار»، التي طرحها في كتابه «ما بعد الاستشراق: السلطة

والمعرفة في زمن الإرهاب» الصادر كذلك نهاية العام ٢٠١٥ عن «منشورات المتوسط».

الربيع العربيّ واحتجاجات ٢٠٠٩ في إيران..

قراءة أخرى للربيع العربيّ وللثورات في منطقتنا، قدّمها دباشي وهو يقوم بمرافعة فكرية عن حق غير الأوروبي في الوجود وفي التفكير. وكتابه هذا يعد جزءًا من سلسلة من الإصدارات التي واكب بها قضايا العالمين الإسلامي والنامي، وقد خَصص جزءًا كبيرًا من الكتاب الذي بين أيدينا وما سبقه من كتابات أنجزها في هذا السياق، لمواكبة الثورات العربية منذ انهيار نظام الرئيس التونسي زين العابدين بن علي في تونس في ١٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١١ وإلى غاية الانحسارت التي شهدتها هذه الثورات في سوريا وليبيا واليمن ومصر.

وبحسب دباشي، الذي يؤكد في طروحاته الفكرية أننا بحاجة إلى أبجدية جديدة لقراءة هذا العالم، فإن الربيع العربيّ يكتسب، موقع استعادة الثقة في أهمّيّة الانتماء إلى العالم الجديد، ومكانًا جديدًا نطلّ منه على أنفسنا ونعيد تعريفها، كما نطلّ على الآخرين منه بعد أن نعيد تعريفهم. ونراه يصف في تمشٍ عقلاني فصول العالم الآخذ بالتشكّل مع الربيع العربيّ، وقد ضمّ

لها الاحتجاجات التي شهدتها الجمهورية الإسلامية الإيرانية عقب انتخابات ٢٠٠٩.

وفي سياق رؤيته الناقدة لمجريات الأحداث في المنطقة، يعتبر حميد دباشي، المعارض لنظام الملالي في طهران، أنّ الثورات العربية تشكل استمرارًا للحركة الخضراء في إيران ولمقاومة الاحتلال الصهيوني في فلسطين ولكل الحركات المعادية للاستعمار الخارجي وللاستبداد الداخلي التي شهدتها مناطق عدة في العالم الإسلامي، بل في العالم غير الغربي كله. مبرزًا أنّ هذه الثورات تتوفر على نفس الأسباب الجذرية؛ «إننا أمام تشكل جديد من الوعي»، «بل إننا نشهد تحولًا معرفيًّا في ثقافتنا السياسية الواردة»، إننا نعيش مرحلة «ما بعد الأيديولوجيا» بتعبير المحلل السياسي المصري هاني شكر الله، و«ما بعد الاسلاموية» بتعبير الأكاديمي الإيراني آصف بيات، و«ما بعد الاستعمار» بتعبير دباشي.

غير أنّ المؤلف لا يخفي وجهة نظره هنا حول ما حدث في منطقتنا العربية قبل ست سنوات، إذ يرى أنّ ما شهدته بعض البلدان العربية إنما هو «مجرد انتفاضات وفوضى وليست ثورات»، لأن المعايير والتصورات التي توجد في أذهان المثقفين عن الثورات، والتي رسختها الثورة الفرنسية خصوصًا لم تتحق في حالة الربيع العربي.

وأن ما يشهده العالم الإسلامي تحول جذري في منظور دباشي، تحول يصطدم بمصالح الاستعماريين القدامى/ الجدد. وبخصوص العالم العربيّ على الأقل قد يكون دباشي تنبؤيًّا، حيث كتب في العام ٢٠٠٩ يقول: «الشباب العربيّ والمسلم حول العالم ليسوا، في مأمن، من مطالب الشباب الإيرانيين التي تكلفهم الكثير، الفاتحين صدورهم العارية، بشجاعة، في مواجهة رصاص وهروات الطغيان. إنه الجيل ما بعد الأيديولوجي».

ويثير دباشي الانتباه هنا إلى مسألة أساسية أخرى؛ وهي أنه ليس المثقف من يولّد الثورات، بل الثورات هي التي تولّد المثقفين. يقول: «يولِّد الربيع العربيّ مفكريه مثل كل الانتفاءات الثورية الأخرى. لم يولّد ماركس الثورات عام ١٨٤٨: بل الثورات هي من ولَّدته. وبالمثل، خلقت الثورة الأميركية توماس باين، وخلقت الثورة الروسية لينين، وهلم جرا».

الثورة السورية بين حسابات اليمين واليسار..

في مقالته «عن سورية: حيث اليسار على حق واليمين على باطل» (ص ١٦٩)، والتي كتبها دباشي في شباط/ فبراير ٢٠١٢، يرى أنه «عندما بدأت الحركة الخضراء في إيران في شهر يونيو/ حزيران ٢٠٠٩، كان هناك جزء متمرد، من اليسار (الذي يمكن أخذه بالمعنى العام) من الذين هاجوا غضبًا ضدها، ونددوا بتلك الانتفاضة للحقوق المدنية، باعتبارها مؤامرة سعودية أمريكية لتفكيك الجمهورية الإسلامية، ارضاء لإسرائيل، ولتمهيد الطريق للإمبريالية الليبرالية الجديدة. اشتهرت تلك المقولة لأحد المستهينين الأغرار عن الحركة الخضراء، في ذلك الوقت: «أنا مع الثورات التي تغضب إسرائيل فقط، فإذا كانت إسرائيل سعيدة بثورة ما فلن أكون سعيدًا».

> زعمت في كتبي عن الثورة العربية والحركة الخضراء في إيران كما اتضح من هذه الانتفاضات الثورية أن أشكال انتاج المعرفة في حقبة ما بعد الاستعمار قد استنفدت نفسها
>
> .. حميد دباشي ..

ويلفت دباشي إلى أنه بعد مرور أكثر من عامين على الحركة الخضراء، وسنة على الربيع العربي، يواجه ذلك الجزء ذاته من اليسار معضلة أكثر تعجيزًا محاولًا صياغة موقف معقول إزاء الدراما الدموية، في سوريا. ليبيّن أن المعضلة التي يواجهها هذا الجزء من اليسار في سوريا تتمثل في فشله الجذري في قراءة الربيع العربيّ بشكل عام.

ويرى المفكر الإيراني أن موقف اليمين أصبح واضحًا اليوم: «النظام السوري طغيان وسفّاح، يذبح مواطنيه، وعلى «المجتمع الدولي» (المقصود به الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون والإقليميون، من خلال آلياتهم في الأمم المتحدة، ومجلس التعاون الخليجي، وجامعة الدول العربية) ينبغي أن يتدخّل لوقف حمام الدم، وأي شخص لديه أدنى شك، في هذه السردية، متواطىء في أعمال القتل التي يقوم بها بشار الأسد. وحقيقة أن الولايات المتحدة وإسرائيل والمملكة العربية السعودية تشارك -بفعّالية- في اسقاط النظام السوري لمصالحهم الخاصة، لم تدخل قطّ في حسابات اليمين، وإذا دخلت، فإنهم يعدّونها ميزة إضافية».

ويبرز دباشي كيف أن «اليسار يدّعي أن ما بدأ كاحتجاجات حقيقية تم خطفها -اليوم- من قِبل «الجماعات السّنيّة المتطرّفة» في سورية، وقوى خارجية أيضًا، من الولايات المتحدة، إلى إسرائيل، والمملكة العربية السعودية، وبالتالي؛ دول الخليج كلهم يصطفّون ضد إيران وحزب الله، اللذين يمثّلان -بالنسبة إليهم- طليعة المقاومة ضد الإمبريالية. يوحي بعض اليسار الذين يؤيّدون الربيع العربيّ

حتى بأن الثوار العرب ينبغي أن يشكّلوا تحالفًا استراتيجيًا مع النظام الحاكم، في الجمهورية الإسلامية. نعم، كما يقولون، النظام في إيران قد يكون مجرمًا تجاه مواطنيه، ولكنه يقف في وجه الإمبريالية. يظهر مجددًا الفساد الأخلاقي لهذا الموقف، في أمّيّته السياسية».

يخلص حميد دباشي هنا، إلى أن الربيع العربيّ «أطلق العنات لقوة الناس العاديين، ونظّم الفضاء العام الذي يحتلّونه، والجمعيات المدنية التي سيشكّلونها -حتمًا- في هذا الفضاء. وقد وُلد الربيع العربيّ -بالفعل- المجتمع الثوري القوي (Gemeinschaft) الذي سيبقى مع هذه المجتمعات، بغضّ النظر عمّن في السلطة، أو ماهيته. قام الشعب السوري، دون علمه بالمؤامرات السياسية التي قسمت اليسار واليمين -كما هي الشعوب، في الواقع، في جميع أنحاء العالَمَيْن العربيّ والإسلامي- بنزع رهاب الميادين، وإدراك قوة تجمّعاته الشعبية».

«مذبحة الأبرياء» السورية..

في مقالة ثانية احتواها الكتاب، بعنوان «مذبحة الأبرياء» السورية (ص ١٨٥)، وكانت قد نشرت على موقع الجزيرة الإلكتروني باللغة الإنكليزية، في حزيران/ يونيو ٢٠١٢، نرى دباشي يستهلها بإفادتنا أن «مذبحة الأبرياء» -في بدايات المسيحية- تشير إلى مذبحة الأطفال التي ارتُكبت، على يد هيرودس الكبير، الوالي الروماني ضد يهوذا. أمر هيرودس -وفقًا لإنجيل متّى (٢: ١٣-٢٢)- بإعدام جميع الأطفال الذكور الصغار، في قرية بيت لحم؛ ليتجنب فقدان عرشه لصالح الملك الجديد». هذه القصة الرمزية، التي تُعدّ مثلًا عن الغرائز القاتلة، والخوف على السلطة، من الأطفال وحكام الجيل القادم الذي يصل إلى حدّ القتل. إنما أراد دباشي اسقاطها -بشكل رمزي- على الأحداث السياسة، لزمننا المعاصر، من ذلك تشخيص المفكر الأردني جوزيف مسعد (أستاذ السياسة والفكر العربيّ الحديث في جامعة كولومبيا)، تجاهل الرئيس الأمريكي المنتهية ولايته باراك أوباما لمحنة الأطفال الفلسطينيين، كحالة من حالات «رُهاب الأطفال العرب».

> **كمفكر ومؤرخ وناقد ثقافي ومنظر أدبي بارز قد بدأ كتابه هذا بسؤال . . هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟. فإنه انتهى منه بسؤال آخر هو: هل يستطيع الأوروبي القراءة؟**

ووفقًا لدباشي فإنه من الممكن أن تدخل المجزرة التي حدثت في منطقة الحولة في سورية، في ٢٠١٢/٥/٢٥ التاريخ، «كما عبّرت عنها كلمات كوفي عنان الحكيمة لمبعوث الجامعة العربية والأمم المتحدة؛ حيث أسماها «نقطة التحوّل»، في النضال المستمر ضد الاستبداد المتّوحش الذي يسيطر عليه».

ويبين مؤلف الكتاب، أن «أولئك الذين تمكّنوا من البقاء على قيد الحياة بعد المجزرة، من خلال الاختباء، أو تصنّع الموت، خرجوا -الآن- ليرووا المقادير المروّعة التي هبطت على الأطفال العزّل، وأهاليهم. يروون عن مذبحة، ارتكبها الجيش السوري وميليشيا الشبيحة سيئة السمعة التي تعمل في خدمة النظام الحاكم». لافتًا أنّ «التاريخ كَتَبَ أن هيرودس قد قتل جميع الأطفال خوفًا من أن تُكتب نهايته، على يد أحدهم. ولكن إنهاء نظام الأسد والطغيان الذي تضمّنه لفترة طويلة جدًا لا يتوقف على طفل، من هؤلاء الأطفال. إنه مستقبل جميع السوريين. وكأن

جميع هؤلاء الأطفال الذين قُتلوا، ولا يزالون، وسيبقون -إلى الأبد- النهاية الحقيقة لهذا الطغيان المروع».

ويؤكد دباشي هنا، أنّ «شروط الإنخراط في مستقبل الديمقراطية، في عالمنا، لم تعد سياسية، وحسب، بل أصبحت -في الواقع- أخلاقية، يتحوّل الخطاب جذريًا، من سياسات السلطة، إلى أخلاقيات المواجهة سواء في معارضة التدخّل العسكري، للناتو، بدءًا، من أفغانستان، إلى ليبيا، مع ما يسببّه هذا من الضحايا المدنيين (بمَن فيهم الأطفال)، أو رفض الأنظمة الفاسدة والمنحطّة التي تتحكّم بحياة وحرية ومصير شعبنا».

ثلاثية الربيع العربيّ وجغرافيا التحرر..

قدّم دباشي في كتابه الصادر عام ٢٠١٤ عن «دار نون للنشر» الإماراتية، «الربيع العربيّ - نهاية حقبة ما بعد الاستعمار»، (ترجمة وتقديم: حارث حسن وأحمد الهاشم)، مرافعة فكرية عن روح الحركة الشعبية ووجدانها. ساعيًا في منجزه هذا إلى تجاوز الخصوصيات الظرفية لتلك الأحداث، معالجًا إياها في الإطار الأوسع بوصفها صناعة جديدة للتاريخ، أهم ما فيها، هو أن المنتفضين أثبتوا أنهم قادرون على أن يتصرفوا كفاعلين تاريخيين مستقلين.

وفي هذا الكتاب «الربيع العربي - نهاية حقبة ما بعد الاستعمار»، الذي صدرت طبعته الأولى بالإنكليزية في العام ٢٠١٢، يتناول دباشي موضوع «الاحتجاجات» أو «الانتفاضات» أو «الثورات» التي عمّت منطقتنا، منذ نهاية العام ٢٠١٠، واصطُلح على تسميتها بالربيع العربي.

ويشير المترجمان في مقدمة الكتاب إلى أنه بعد عقود طويلة من الحديث عن «الاستثناء العربي»، وعن رسوخ «السلطوية العربية»، والتنظيرات التي انتقلت من حقول السياسة وعلم الاجتماع لترتكّز على «ثقافة الاستبداد» الراسخة في المنطقة، كان مظهر «المستبدين» وهم يفرون من بلادهم خلسة، أو يتنحون بلا كلمة وداع، أو يعثر عليهم في المخابئ ويتم قتلهم على أيدي من كانوا محكوميهم، قادرًا على هزّ الكثير من القناعات التي صنعتها فكرة «الاستثناء العربي».

إننا بحاجة إلى أبجدية جديدة لقراءة هذا العالم، فإن الربيع العربيّ يكتسب، موقع استعادة الثقة في أهمّيّة الانتماء إلى العالم الجديد، ومكانًا جديدًا نطلّ منه على أنفسنا ونعيد تعريفها، كما نطلّ على الآخرين منه بعد أن نعيد تعريفهم

ولم يرَ دباشي، في الربيع العربي مجرد صراع بين حكام سيئين ومحكومين غاضبين، بل شيئًا أكبر من ذلك، «إنه صيرورة تاريخية تتجه إلى تحرير شعوب المنطقة من سطوة القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية التي قيدتها في أطر الهيمنة التي قامت عليها مرحلتا الاستعمار وما بعد الاستعمار»، بالنسبة له، فإن الربيع العربي هو «خروج من حقبة ما بعد الاستعمار التي قامت على ثنائية استمرار الاستعمار بأشكال أخرى، وصعود أيديولوجيات مناوئة للاستعمار لكنها في الحقيقة تقوم على إعادة إنتاجه، كما هو الحال مع الاشتراكية العالم ثالثية، أو القومية العربية، أو الإسلام السياسي. لم تكن تلك الإيديولوجيات انعتاقية كما تدعي، بل جزء من المنظومة الثقافية والأيديولوجية العامة التي صنعتها فكرة (الغرب)، تلك الفكرة التي بمحض وجودها، تعبّر عن نظام للهيمنة أصبحت فيه الشعوب غير الغربية مجرد صورة لما يراه الغرب في نفسه تعبيرًا عن دونية ما هو غير غربي، بالتالي تفوق (الغربي)».

ويربط دباشي في كتابه «هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟»، بين ما صدر له من مؤلفات تناولت ما سمي بـ«ثورات الربيع العربي» في السنوات الست الأخيرة، فنراه يستهل الكتاب، بالإشارة إلى أنه يُعدّه ثالث كتبه الصادرة عن «دار زد بوكس» للنشر، والتي تشكّل ثلاثية، اسماها «ثلاثية الانتفاضة»، «تكريمًا لحركة التحرير الوطني الفلسطينية». مشيرًا أن اقتراحه بتسمية كتبه الثلاثة، وهي: («إيران والحركة الخضراء والولايات المتحدة الأمريكية: مفارقة قناة فوكس نيوز العجيبة» (٢٠١٠)، و«الربيع العربي: نهاية حقبة مابعد الاستعمار» (٢٠١٢)، وكتاب «هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟ (طبعة أولى ٢٠١٦))، بـ«ثلاثية الانتفاضة» لأنها والكلام لدباشي، «تحمل - في جذور كل منها - المنطق الموسع للانتفاضة الفلسطينية، كمثال لجميع حركات التحرير العابرة للحدود؛ حيث تتّضح، وتُستثمر فيها الأطياف الكاملة لجغرافيا التحرر المعاصرة».

ويؤكد المؤلف في خاتمة هذا الكتاب، أن هذه الكتب الثلاثة تُعدّ من بين الخطوات الأولية التي اتخذها «لتحقيق تغيير، في بنية وموقف، ومزاج تفكيرنا ضد تكوين تلك الإيديولوجيا الليبرالية الجديدة التي تحافظ - بشكل منهجي - على مصالح الإمبريالية الأمريكية وحلفائها في المنطقة، والمستفيدين حول العالم». متابعًا: «لم أقم بذلك، من خلال معارضة السلطة وشكل التمثيل من الموقع الإمبريالي الذي يغني منه الكورس النيوليبرالي مثل هاريس، وهيتشنز، ورشدي أغانيهم التافهة، بل من الموقع الفعلي للأحداث التاريخية، في العالم التي أرعبتهم إلى درجة بيع هذا الهراء. ولذلك فإن ما كتبته - هنا، بالتالي - ليس مخالفًا لتلك الإيديولوجية السائدة، وحسب، بل يتوجّه عمدًا نحو عالم بديل، ومكبوت، ومخفي - الكونية الإمبراطورية العظمى - التي كانت تأسيسية، بالنسبة للعالم الإسلامي، على مدى الأربعة عشر قرنًا الماضية؛ لتتحوّل - اليوم - إلى أنقاض تحت أقدام القوة الجبارة الكاذبة للإمبريالية المعولمة، تلك الإمبريالية التي لم يعد لديها أيّ مركز اليوم».

ويلفت دباشي إلى أنّ «التضاريس الكاملة للهيمنة والمقاومة تتغيّر - اليوم، في الحقيقة - من خلال ما أسمّيه في كتابي «الربيع العربي» باسم «جغرافيا التحرر»».

رؤى متعددة حول طروحات دباشي..

رأى العديد من النقاد الأكاديميين أن حميد دباشي في هذا الكتاب، كان استفزازيًا مشاكسًا، ومتحديًا عنيدًا. يدرس الطريقة التي يستمر من خلالها النقاشُ الفكري في ترسيخ نظام كولونيالي للمعرفة، مستندًا إلى سنوات من الدراسة والنشاط، ليقدم في كتابه هذا مجموعة حصيفة من الاستكشافات الفلسفية التي تثير الحفيظة والفرح على حد سواء. فقد كتب الباحث الفلسطيني المتخصص بالقانون والفكر الإسلامي في جامعة كولومبيا، وائل حلاق، معلقًا على الكتاب: «يُعدُّ كتاب دباشي هذا نقدًا بانوراميًا، للأشكال السائدة للمعرفة، وتمردًا ضدها في الوقت ذاته، إنّهُ واضح ومنفتح على نحوٍ مميز، قراءة جديرة بالاهتمام».

ورأت الكاتبة اللبنانية الدكتورة اليزابيث سوزان كساب أنّ دباشي: «يفسّر ببلاغة الرحلة الفكرية لجيل كامل من مفكري مرحلة ما بعد الكولونيالية: يجبُ أن نستمع إلى نتائجه».

فيما يعلق الناقد الهندي بانكاج ميشرا، قائلًا: «لعقود طويلة، خلُص حميد دباشي من تواريخ اللاغربية إلى مُناقشة طرق التفكير التي تُعتبرُ

غير شرعية من قِبل الأوصياء المحدودين، الأقوياء مع ذلك، على الحياة الفكرية في الغرب. في كتابه «هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟» ينتقل دباشي بجدليته الخفية المفعمة بالحيوية إلى مستوى آخر».

أما المفكر الهندي والمدرس في الجامعة الأميركية في بيروت، أفيجاي براشاد، فقد علق بالقول: «يجمع كتاب دباشي استفزازاته المهمة بصدد قضايا تتدرج من ما بعد الكولونيالية إلى الديمقراطية، هذه المقاطع من أجل أن نتصارع معها، ونفكّر بها، ونناقشها ونجادلها، إن قراءة دباشي أشبه بجلسة قهوة طويلة بصحبة صديق ذكي جدًا».

من جهته، قال مدير معهد الدراسات الافريقية في جامعة كولومبيا، مامادو ضيوف: «اعتمادًا على معرفته الداخلية الفريدة بالتقاليد الفكرية المختلفة، كتبَ دباشي، بفطنة وعاطفة وخفة دم، توليفة نقدية للفكر الغربي من وجهة نظر الأعراق المظلمة».

بينما أشار الفيلسوف السنغالي، سليمان بشير ديان، مؤلف كتاب «تعليق الفيلسوف في الإسلام»، إلى أن: «هذه المقالات محددة المعالم، وبارعة واستفزازية وخبيثة، وفي عين الهدف».

بدوره علق المدرس بجامعة ليدز، سلمان سيد، صاحب كتاب «إحياء الخلافة»، على الكتاب قائلًا: «بمفارقة راقية، يعيدُ كتاب «هل يستطيع غير الأوروبي التفكير؟» توجيه قراءتنا للعالم، إنّه رد لاذع سريع وعاطفي على أولئك العاجزين عن رؤية ما هو أبعد من التأطير والتأصيل الأوروبي».

مؤلف الكتاب في سطور..

ولد المفكر الأمريكي الجنسية (ذو الأصول الإيرانية) حميد دباشي في إقليم الأحواز، وهو يعيش حاليًا في مدينة نيويورك. حصل على درجة الدكتوراه المزدوجة في علم اجتماع الثقافة والدراسات الإسلامية من جامعة بنسلفانيا، تلتها زمالة ما بعد الدكتوراه من جامعة هارفارد.

ويحمل دباشي ثقافة عربية، كون
الأحواز ما مكنه استيعاب الش
وحضاريًا، وقد انتقل مبكرًا
أمريكا، ليتحول من خلال جهوده
واحدٍ من ألمع المفكرين الشرقيين
والغرب.

كتب وحرر العديد من الكتب، منها: «إ
والحركة الخضراء والولايات المتحدة
الأمريكية»، و«الربيع العربي- نهاية حقبة
ما بعد الإستعمار»، و«ما بعد الأسنشيل-
المعرفة والسلطة في زمن الإرهاب»، بالإض
إلى العديد من الفصول، والمقالات
ومراجعات الكتب.

ويُعتبر دباشي ناقدًا ثقافيًا
أعماله إلى العديد من اللغات
وهو يكتب عمودًا في صح
المصرية منذ أكثر م
ويعتبر معلقًا سياسيًا دائمًا
الإنكليزية وموقعها الإلكتروني،
إن». وبالإضافة إلى عمله ا
التدريس منذ ما يقارب
يعمل أيضًا في إلقاء المحاض
المقالات عن آخر المستجدا
ناشطٌ فعال في مجال مناه
مؤسس مشروع الفيلم
وطن» –eams of Nation

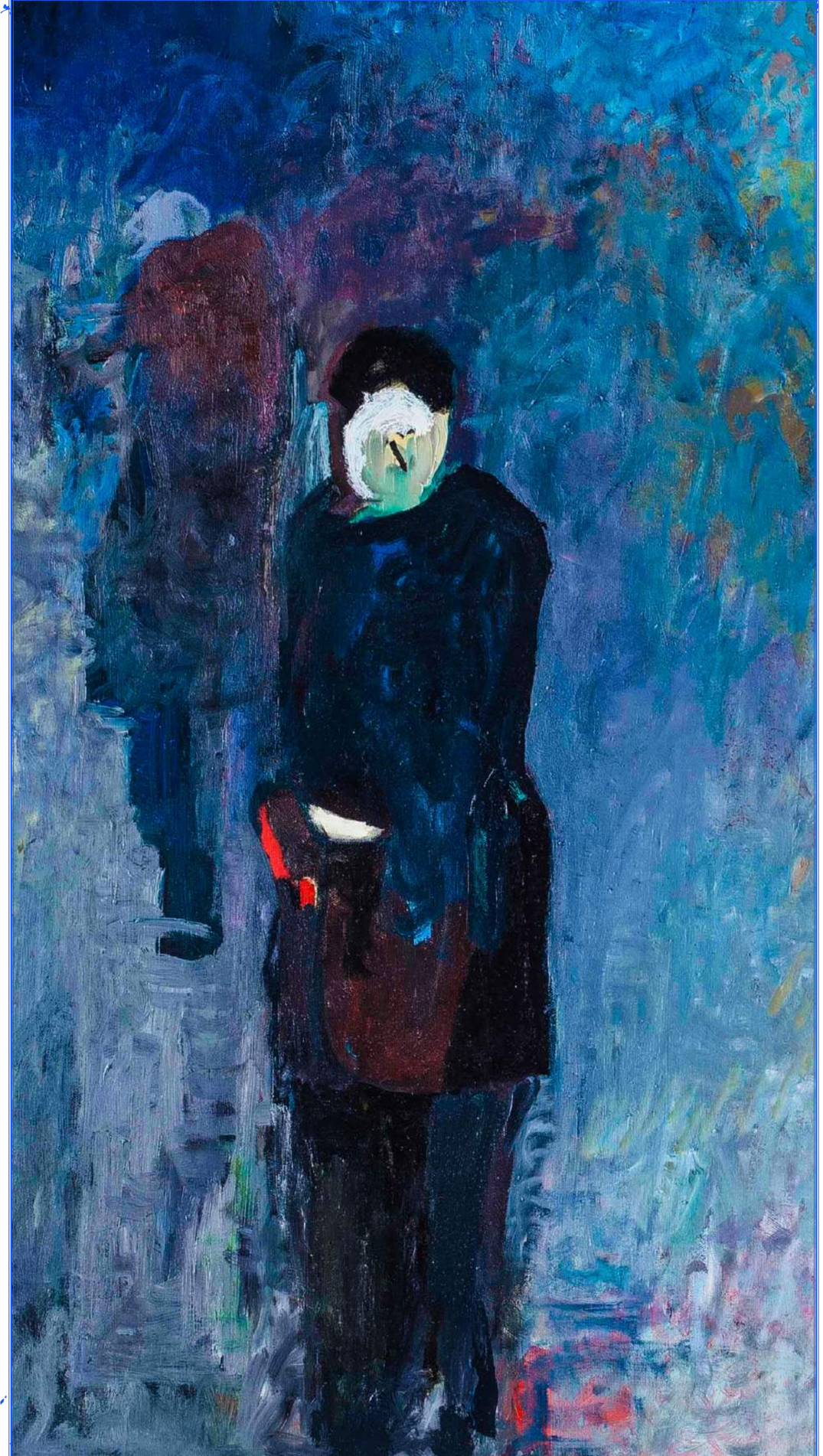

الفنان التشكيلي لؤي كيالي
ومعرضه في سبيل القضية

فاضل السباعي

الحالة النفسية التي تردى إليها الفنان «لؤي» (الفُصام، الشيزوفرينيا) في خريف ١٩٦٦, تابع الرسم يداوي نفسه بالفن, يرسم ويرسم. ولكنّ «مخلوقاته» جاءت – في ظلّ ذلك الإحساس المضني من الخوف والإحساس بالاضطهاد – صدى لنفسه المصدوعة.

رسم لوحاته, صوّر أناسها, مشدوهين, مفزوعين, مقهورين, مناضلين, قاتلين أو مقتولين! وإمعانًا منه في إبراز هذه المعاني العنيفة, جرّدهم من الألوان, نفذّ صورهم بالفحم, بالأسود والأبيض, لوحات صغيرة, وكبيرة, وكبيرة جدًا. تجمّعت لديه، ما بين خريف ٦٦ و٦٧, أعدادٌ وفيرة من هذه اللوحات العجيبة, فكان منها معرضه السابع, الذي أقامه في نيسان (إبريل) ١٩٦٧، في المركز الثقافي العربي بدمشق, وسمّاه «في سبيل القضية».

كان نتاج «لؤي», في هذا المعرض رائعًا أيضًا, بما فيه من صدق التعبير عن مشاعره الذاتية المؤرّقة, وعن أفكاره التي اندفع بها, أكثر فأكثر, نحو عالم البؤساء والمقهورين ردّ فعل للتجنّي الذي تعرّض له, فأنقَض ظهرَه وهزّ وجدانه هزًا عنيفا.

• «مجزرة».. في «ندوة»:

أخطأ «لؤي» حين قال لهم: «أنا اشتراكي, وهذه اشتراكيتي!»، أخطأ، لأنّ أصالة الفنان فوق الشعارات القابلة للتغيّر.

ولئن كان المُشاهد للوحات هذا المعرض يحسّ إشفاقًا على الفنان, الذي عانى وطأة تلك المشاعر الفاجعة قبل أن أفلح في التعبير عنها, لقد وجد فيها «أعداؤه» – واسمحوا لي أن أصفهم بذلك – فرصةً سانحة ليدفعوا به إلى شفير الهاوية!

سألوه: «هيّا اشرح لنا, إذن, أبعاد اشتراكيتك في هذه اللوحات!».

كان سهلا أن ينقاد لهم إلى «ندوة» عقدوها في المركز الثقافي ذاته, وفي ظلّ لوحاته تلك. وكان من أيسر الأمور عندهم أن يتمكّنوا من الإيقاع به!

أخطأ لؤي . . حين قال لهم: (أنا اشتراكي , وهذه اشتراكيتي!) ، أخطأ ، لأنّ أصالة الفنان فوق الشعارات القابلة للتغيّر

وساعة وقف يشرح للحاضرين «أبعاد الاشتراكية» المتمثّلة في لوحات المعرض, بدا – وهو في حالته النفسية المتردّية – عاجزًا عن الصمود أمام الأسئلة المحرجة المجرّحة, وقد انهالت عليه من الفنانين والنّقدة وصنائعهم من طلاب في كليّة الفنون الجميلة التي كان يُدرّس فيها, وقد جاءوا الندوة وهم معبّؤون ضده! وبلغ الإسفاف بهؤلاء أن جهر أحدهم أمام الملأ: «لن يعلمنا الاشتراكية فنان برجوازي هو ربيبُ سفارات أبو رمانة!!» وأومأ فنان كبير – هو أحد أصدقائه – بيده لمصور, كان يهمّ بالتقاط صورة له بجوار «لؤي», بأن يكفّ, قائلا: «إني أرفض أن تجمعني و«لؤي» صورة, بعد أن قدّم هذه اللوحات الرديئة!».

في ذلك اليوم من أيام نيسان/ابريل ١٩٦٧,

مزّقوا «لؤي» تمزيقًا، وتمزّقتْ حزنًا عليه قلوب الطيّبين ممّن حضروا الندوة.

حدّثتني إحدى طالباته بأنها لم تستطع، هي وبعض زميلاتها، أن يحبسن دموعهنّ، وهنّ يشهدن هذه الندوة – المجزرة!! واعترفَ لي طالب آخر، بعد هذه الواقعة بعامين: لسوف يظلّ ضميري يعذبني، لأني قذفت في وجه «لؤي كيالي»، في ذلك المساء، بكلّ ما لقّنني إياه أناس يضمرون له الكراهية!

بعد ذلك اليوم التعس، قرأ «لؤي» وقرأ بعض الناس، مقالات صحفية لعلها من أقذع ما كُتب في حق فنان أو أديب في البلاد، هاكم عُنوانات بعضها:

«أنا رفعت لؤي وأنا سأ سقطه » .

«لؤي البهلوان».

«رسام كلاب السفارات يدعونا إلى الدفاع عن القضية!».

• هو المسيح مصلوبا:

في تلك الأيام الصعبة، فقد «لؤي» السيطرة على نفسه، وأخذ يهيم على وجهه، في دمشق، مضيّعا.

تراءى له، في ضياعه أنه المسيح مصلوبا. كان يأتيني، أشعثَ أغبر، ليقول لي: «لقد صلبوني! انظر (ويبسط لي كفه) هذا أثر المسمار الذي دقوه في كفي!». وأنظرُ، فلا أرى شيئًا، فأعرب له عن ذلك، فيعاود قوله: «انظر جيدًا! هو ذا أثر المسمار، هنا هنا!».

بعض الفنانين، أخذوا يهزؤون به: «ايه أستاذ لؤي! حدّثنا كيف صلبوك؟!»، ولما وقعت حرب حزيران (بعد الندوة بأكثر من شهر)، جاءني يقول: «إن الحرب قامت ضدي! إني أنا الوطن العربي، وعليّ شنّت الحرب!».

ولكنّ أعداءه بدَوا، حتى ذلك الحين، في شك من انهياره، فقالوا: «لؤي كيالي يتصنّع الجنون، تشبّهًا بفان كوخ!!».

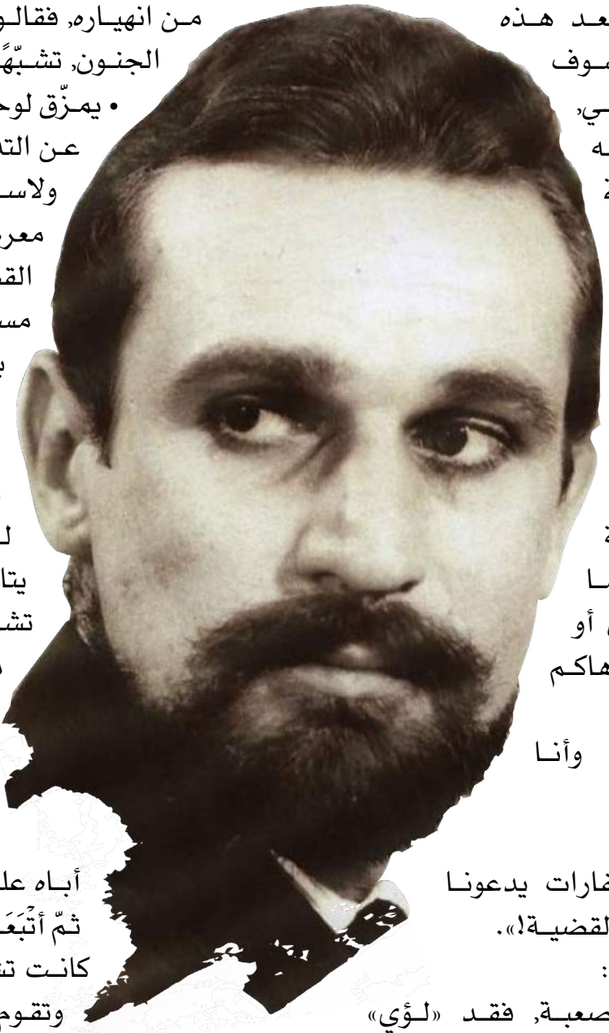

• يمزّق لوحات المعرض، وينصرف عن التدريس:

ولاستهجانهم لوحات معرضه «في سبيلَ القضية»، قام، ذات مساء من صيف ١٩٦٧، بتمزيقها! استطعتُ، وقد دخلت عليه فجأة، أن أستنقذ لوحة منها، واحدة صغيرة، سمح لي بأخذها، وهو يتابع التمزيق، وعيناي تشهدان!

مزّق «لؤي» لوحاته تلك بعد أن كان قد تمزّق هو، ثمّ انكفأ يمزّق أسرته الصغيرة التي يستظلّ فيئها. حمل أباه على مغادرته إلى حلب، ثمّ أتْبَعَه شقيقتَه العزباء، التي كانت تشاطره حياته المنزلية وتقوم برعايته والسهر عليه.

انقطع «لؤي» في افتتاح العام الدراسي التالي ٦٧– ١٩٦٨، عن الدوام إلى الكليّة. وحتى لا يتعرض للتسريح من وظيفته، بسبب غيابه المتواصل – الذي لم يكن يبالي بأن يقدم بشأنه تبريرًا قانونيا – فقد عمدتُ إلى تغطية غيابه بالتقارير الطبية التي أستحصل عليها بأساليب شتى.

مابين شاطئين

نجم الدين سمان

كَتَبَ لها:
– رأيتك في منامي؛ جالسةً على شاطئ بحر؛ وأنا أُجهِّزُ الكاميرا لألتقطَ لكِ صورةً.
كَتَبَت له:
– يا خَويّ.. لو أنَّ البحرَ يظلُّ بيننا؛ فلا نَعبرُهُ؛ ولا يَعبُرُنَا.
– لكنّي رأيتك.. أقربُ إليَّ من رَفيف نورس؛ ومن انخطاف الضوء في الكاميرا؛ كُنتِ تجسيداً لكينونتك؛ ما كُنتِ مُجرَّد صورة.
– كلّنا مُجرَّدُ صورة في ألبوم الصور؛ نُمضي حياتَنَا في التقاط الصُّور؛ ولا يبقى منّا؛ إذا متنا؛ إلّا الصور.
كتبَ لها:
– بل إنّي أعرفُ ولَّما نلتقي بعدُ؛ كَم أنَّ أصابعَك ناعمةٌ؛ أعرفُ رائحَةَ عطرك؛ وكم أنَّ قدميكِ رهيفتان؛ حتى أنّي أعرفُ نمرةَ حذائك.
تُرسلُ وجهاً ضاحكاً.. ثمَّ تكتبُ: – وكم هي؟!
– ٣٧.
– غير معقول.. كيفَ عرفت ؟!.
– وأعرف أنك إذا نمت.. تتقلّبينَ في فراشك؛ وأنك تستيقظينَ كما لو أنّ الدنيا ستهربُ من بين يديك؛ وأنك تنهضينَ من سريرك قفزاً؛ مثلَ قطّة سَبعاويّة.
– تعرفُ كلَّ هذا؛ ولم نلتق بعدُ؛ ماذا سيبقى لتكتشفَهُ فيّ.. إذاً التقينا؟!.
– سأكتشفُ نفسي في مرآتك.
– ما نحنُ إلا خيميَاءُ مَن الخَيبات والأحلام؛ ثم لا ننكشفُ إلّا أمامَ مَن نُحبّ.
– لكنّي تُهتُ عن نفسي؛ حينَ ضاعَ منَّا وطنٌ تحت القصف؛ ثمّ هَجَّرونا؛ كلٌّ.. إلى رُكنٍ في الأرض.
وكانَ قد سألها: – من أينَ أنت؟.
أجابَت: – من قَلَمُون اللّه؛ وأنتَ؟.
– أنا زيتونةٌ في الشمال؛ لا أعرفُ البكاءَ؛ فلا ينتابُني حتى تتبلورَ دموعي لتوِّها ثماراً؛ ثمّ يَحصدُها الخريفُ؛ ليَعصرُهَا الدهرُ؛ فتَرشَحُ روحي بالزيت.
و كانت قد سألته: – كيف سيلتقي الزيتونُ.. بالتفّاح؟.
فأجابها بمَا أنشدَهُ دعبَل الخُزَاعي ذاتَ يوم:
«تَبَيّنْ فكَمْ دَارٍ تَفَرّقَ شَمْلُهَا ... وَشَمْلٍ شَتِيتٍ عَادَ وَهْوَ جَمِيعُ».

ثمَّ سألها:
– هل تعرفين زهرةَ عين الشمس؟!
– أعرفها رهيفةً؛ تأخذها الريحُ من وطنٍ تعرفُه؛ إلى أرضٍ لا تَعرفُها.
– هكذا سنلتقي؛ سنعبرُ هذا البحرَ فيما بيننا لنلتقي.. حتى لو غَرِقنا.
– ستأكلنا أسماكُ القرش!.
– بَل.. سنكونُ في بَطنِ الحوت؛ كيُونُسَ.. حتى تَحينَ قيامَتُنَا.
ثمَّ كَتَبَت لَهُ.. تَسألُهُ سؤالَ النساء للرجال:
– ماذا فعلتَ هذا اليومَ.. بدوني؟.
أردَفَت.. لم تنتظر جَوَابَه:
– لم تكُن على الفيس بوك؛ ولا على الواتس.. اعترف.
حتى أنها سمعَت ضحكتَهً.. تعبرُ البحر الذي بينهما.. إليها؛ فكتبت:
– أنتَ زيتونةٌ لا تعرفُ إلا الضَحك.
– وأنت تُفّاحةُ الأسئلة؛ لولاها.. لكُنَّا في جَوَابِ الجَنَّة؛ لم نُغَادرها؛ ولم نهبط على هذه الأرض.
– هبطنا من عَلياء اللّه؛ لنموتَ ونحنُ نَسألُ؛ بعضُنا يموتُ.. فلا يَلقَى جواباً.
– وبَعضُهم.. يعتقلُ الأسئلة؛ أو.. يقتلها في مَهدِها؛ ليَفرضَ على الجميع جَوَابَه الأوحد.
– والبعض يُراوغ مثلكَ عن الأجوبة؛ فماذا كنتَ تفعلُ في غيابي عنك؟!
– كنتُ اكتبُ عنكِ قصيدةً.
– عن جَدّ؟!.
– لا أكتبُ حتى يُداهمَني الحبّ.
– لا تكتبُ حتى تُداهمَكَ القصيدة؛ كَم من النساء قبلي.. كتبتَ فيهنَّ قَصائدَك؟!.
– لا أعرفُ.
– لا تَعرَف ؟!؛ معك حقّ.. كيف يعرفُ الثعلبُ عددَ الدَجاجات!!.
– كنتُ آخُذُ عشرة على عشرة في درس التعبير؛ و ثلاثة من عشرة في درس الحساب.
– تُمازِحُني دائماً.. حين أكونُ في قِمَّة الجَدّ؟!.
– لأسمَعكِ حين تضحكين؛ كلُّ موسيقى الكونِ في ضحكَتك.
– من أجلِ هذه الجملة.. سأسامِحُك؛ هاتِ قصيدتَك .
ثمّ أردفَت على الفور:
– انتقل من الفيس إلى الواتس.. أريد أن أسمَعَها بصَوتِكَ أنت.
فَسَمِعَ للتوِّ صوتَها.. عبرَ هَاتِفه:
– أنا مُستنفِرةٌ.. لأسمَعَك.
أنشدَ لها.. ما بين شاطئين:
«أكثرُ من نصفك.. لا أعرِفُهُ
و تعرفينَ أقلَّ من نصفي.
بيننا.. بحرٌ
أنا.. نَورَسٌ على شاطئٍ
تكسَّرَ.. بعضُ جناحَيه؛
و أنت.. على شاطئٍ
كسَوسَنَة من زَبَد.
تاهَ منّا.. نَصفُنَا
في بلاد اللّه
وَظَلَّ نصفُنَا.. في البلد؛
يقصِفُهُ بَعدَ وَالِدِه.. الوَلَد.

لا أعرفُ.. عَنك
سوَى ما أجهلُهُ عن نفسي؛
لا تعرفينَ.. عَنّي
سوَى.. ما تجهلينَهُ عنك.
أُكمِلُ صُورَتَك
بحبر.. قصيدتي
كُلَّما ارتعشَت فيكِ
حروفُ الشَغَف.
كلُّ ما قد كانَ.. قبلَ لقائِنَا
انخطَف؛
تَذرُوهُ.. رِيَاحُ الأسَف.
أنا.. رَملُكِ
ما بينَ موجتين؛
و أنت..
كلّما غَسَلَ البحرُ
شِفَاهَ الصَدَف.»

تاء التأنيث السـاكنة

أليسار علي

فبتاريخ ٢٠١٧/١/٢٣م في مقهى«زرياب» في دمشق القديمة، أقيم عرض مسرحي بعنوان «تاء التأثيث الساكنة»، تأليف مجموعة من الشباب الممثلين(غسان الدبس، مجدي المقبل، ماهر أبو مرة) بالاشتراك مع المخرجة «نسرين فندي». العرض ليوم واحد، رسم الدخول ٥٠٠ل.س، وبعد العرض أجري حوار بسيط مع أسئلة معدودة.

ينتابك سؤال دائم أثناء حضورك العرض ألا وهو:» عن ماذا يتحدث العرض؟ وما علاقة موضوعته بالواقع السوري اليوم؟ فتجد آراء خرجت بعد العرض لتقول: «يا لتفاهة ما يقدم أمام ما يجري»، وأخرى تثني على جهود شباب يستمر برغم كل الضغوطات.

تفرز الحرب لدى العاملين في المسرح، وخصيصاً خريجي المعهد العالي للفنون المسرحية الجدد، الراغبين بالقيام بتجاربهم العملية، صورةً من صور تحدي الموت وتناول تفاصيل أخرى نعيشها برغم الأحداث الدائرة. وبما أن المؤسسة المعنية رسمياً بإعطاء فرص للإنتاج المسرحي، منهكة من هيمنة الروتين والبيروقراطية والمحسوبيات، يحاول الشباب أن يختار أماكن بديلة عن المسارح المخصصة (دار الأوبرا، الحمرا، القباني) لبعض الأسماء التي باتت معروفة ومعدودة، وإنجاز نصوص بسيطة تؤّمن استمرارهم وتسمح لهم بإنتاجها، ولربما هي خطوة جيدة لإزالة فكرة المجانية حول المسرح واستسهال حضوره.

ربما أصبح من الممكن تبرير أي حدث على الأرض السورية بصور متطرفة بما يتماشى مع الحرب أو ضدها!

حكاية العرض: ثلاثة رجال، أحدهم في الخمسينيات وشابان في العشرينيات، يجلسون في مقهى، يدخنون الدخان البلدي»اللف/ عربي»، ويبدأ السرد، جدالهم يأخذ منحى الأجيال المختلفة، تحدياتهم تقول أن كل تجربة شخصية تبقى الأهم، اتهامات متبادلة، نكران عنيد، تعدد للحالات وأساس الحكاية واحد «المرأة» وما يربطهم معها(حب،جنس). يدّعي المتزوج الخمسيني (غسان الدبس) أنه كان المناضل الأكبر بينهم فداء للحب، ويسرد تحول العلاقة الجسدية بينه وبين زوجته من نعمة لنقمة، ليتحول صوت نوابض السرير من موسيقى إلى ضجيج يزعج الأولاد وكتم لصرخات الشهوة «كانت تضع يدها على فمي» وينادي بعيش اللحظة بجدارة مقابل الشاب المحاذي (مجدي المقبل) الباحث عما هو أعظم من جسد، عما هو أعظم من حوار مع عشيقة، يرى في الأم الحب الذي يبحث عنه بكل تفاصيله من صدق مطلق وعفوية وفهم، يعاني من الفكرة المركبة لثنائية «أم/حبيبة»، لا يتخلى عن أن يكون» الولد/ المراهق/ الرجل/ الفاشل/العاشق» أمام المرأة التي يحب، فأمام من إذن يكون كذلك إن لم يكن أمامها؟ والشاب الثالث القومي السوري الذي يضع قبعة وشالاً ويستخدم فنجان حفر عليه «تحيا سوريا»، يتهمه الخمسيني بالخوف، فيرد ببساطة أنها تحصيل حاصل يجب أن يكون مع طبل أو زمر أو بدون ذلك، هي «علاقة الجسد بين رجل/امرأة»، يتدخل دائماً بجمل معترضة وعندما يشعر بالتورط يعود للاستماع للموسيقى. تشظى تلاقي هذه التداعيات لثلاثة رجال، وأخذ يتوضح رويداً وويداً بدنو ختام العرض الذي توقف كل منهم عنده مع نتيجة استفهامية واحدة، «الإصلاح في العلاقات العاطفية، وهل يجوز بلا «نسخة جديدة/حب جديد»؟.

ينتابك سؤال دائم أثناء حضورك العرض ألا وهو: عن ماذا يتحدث العرض؟ وما علاقة موضوعته بالواقع السوري اليوم؟ فتجد آراء خرجت بعد العرض لتقول : يا لتفاهة ما يقدم أمام ما يجري .

استند العرض على فكرة مأخوذه عن نص لداريوفو بعنوان»إمرأة وحيدة»، اجتمع الممثلون مع المخرج بتجاربهم الحياتية ومعرفتهم المسرحية على إنجاز شخصياتهم التي تشكل نص العرض وتخدم التيمة المختارة، ألا وهي الحب من عدة وجهات نظر ومن عدة تجارب ومن عدة أجيال، ليتشكل النص على شاكلته الأخيرة كما قدم في العرض، عن طريق السرد مع محاولات خاطفة للتفاعل مع الحضور، بحيث كان حيز الأداء وجها لوجه مع حيز الجمهور بذات المستوى لا يفصلهما أي مسافة.

جاء السرد كحامل للعرض الذي تريد من خلاله الشخصيات البوح في زمن قصير واحد ومكان واحد لا يساعد على الحركة، فخدم ذلك وحدة الزمان والمكان. اكتفت الشخصيتان اللتان يؤديهما (غسان الدبس ومجدي المقبل) بالسرد فقط دون أي محاولة حركية، عبّر من خلاله مجدي المقبل عن آلية متابعة جيدة لشخصيته وتقديمها بصورة كثيفة مترابطة برغم التشظي المقصود، وجاء أدائه السردي وتبنيه معبراً جداً، وغسان الدبس حاول تقديم شخصيته بفكرتها البسيطة بأداء سردي أقل تبنياً نوعاً ما، توضّح من خلال أداء متواضع مع محاولات للتفاعل مع الجمهور ومشاركتهم، بينما قام الممثل ماهر أبو مرة بأداء حركي غير مدروس وغير معبر عما يسرد وكذلك عملية خروج ودخول من المكان لا دلالة لها، لم تخدم أي فكرة بالعرض.

من الممكن أن يكون الالتجاء إلى البحث في قضايا الحب والعجز به أمام الذات وأمام الآخر هو واحدة من تأثيرات الحرب غير المباشرة، وهرب غير مباشر من العجز أمام الأحداث الدائرة، وتحليلها والخوض فيها، أمام كتلتين متحاربتين اختارتا لهذه الحرب أن تكون رغماً عن أي اعتبار آخر، ولا حول ولا قوة لأي فكرة حل سياسي حتى الآن، يبتعد عنها كلا الطرفين بعالمه الخاص الغير شعبي، مما يضطر هذا الشعب لإيجاد حلول ربما ليست بالجيدة لكنها تحصيل حاصل كل ما يجري، ومن هذه التحصيلات هو الولوج إلى قضايا مسرحية بعيدة عن الواقع العام القاسي، فتلجأ لواقع شخصي ليس بمعزل عن العام وإنما مصاب برهاب منه.

تجارب اعتباطية

تجربة هي الثانية للمخرجة مع بعض الممثلين لهذا النوع من الأعمال، إلا أنه عند سؤال المخرجة عن آلية العمل اكتفت بشرح الآلية دون الدراية بأن هذا النوع من العمل أقرب لأن يندرج تحت ما يسمى بالارتجال المدروس بأبسط أشكاله، وعبرت المخرجة أنها طرحت الفكرة مع فريق العرض كبصيص بسيط تتحدث من خلاله عن الحب ومدى قدرتنا على العطاء والتغيير فيه، وتركت النهاية مفتوحة بسؤال «هل تستطيع التغيير بدون «نسخة جديدة»؟

من الجيد ابتكار التجارب الجديدة والهاربة من خراب الحرب المدمرة والمسرح التقليدي السوري، وبرغم ذلك ألا يمكن لهذه التجارب أن تعمل وفق بحث دراماتورجي أعمق بخصوص أي موضوعة، بحيث تبتعد بها عن توصيف الحالات وذكر التجارب وتقترب من الغوص بعالم الإنسان النفسي والإجتماعي بعمق أكبر خاصة إذا كانت المواضيع المتناولة وثيقة الصلة بهذه العوالم؟ وهل يمكن لنا أن نجد عروضاً أمتن وذات ملامح واضحة أكثر وتسعى للاستمرار وتحدي كل الظروف لتنافس «مديرية المسارح والموسيقى» المؤسسة التي بات من الصعب جداً الولوج إليها من قبل أي شاب جديد إلا تحت ظروف أيديولوجية معينة ومحددة مسبقاً تخدم سياساتها وتنحي أي تطور فني أو ثقافي ممكن أن يشكل عروض مسرحية أكثر جدية في سوريا اليوم؟.

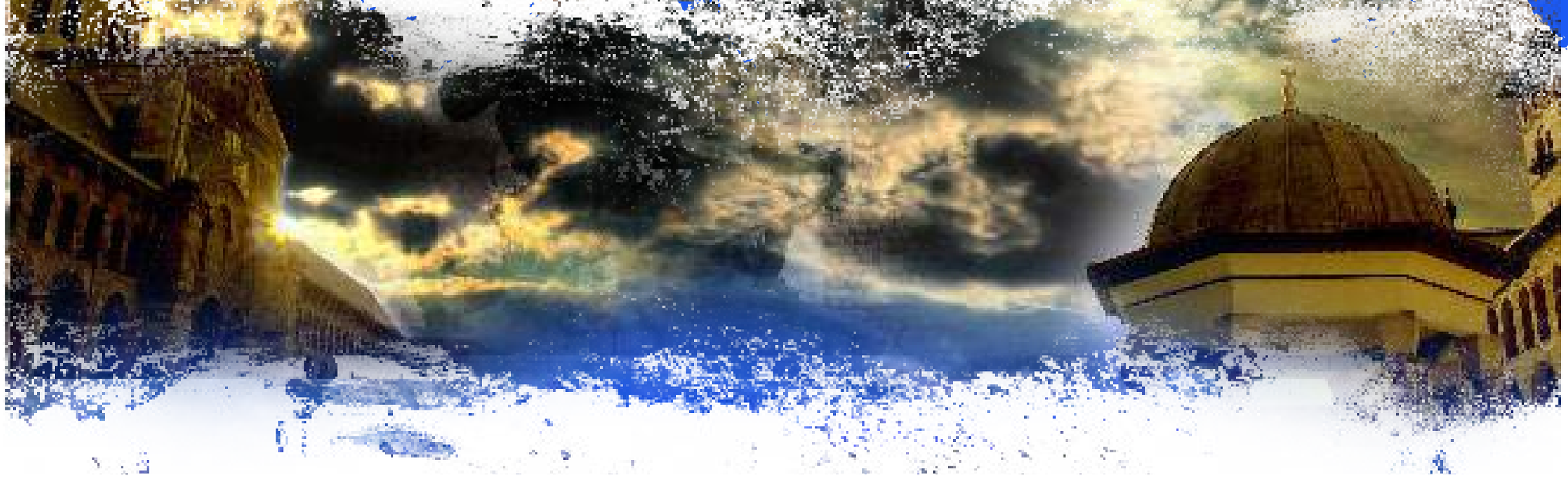

عبدالرزاق كنجو

دمشقُ العطشى

على بِساطِ الرّيحِ نَصَبتُ خَيمَتي .
زُهداً وخَوفاً .. فَرَفاً مِن وِحدَتِي
من الغيوم .. أروي عَطَشي
و(هُدهدُ) من سَبَأ
يَأتيني بِأخبارِ اليَمَن
وبِصُوَرٍ من حلب .. يُؤنِسُني في خلوتي .
لا يفارق وحشَتي
ولا ينامُ قبلَ أن أَنام
في بطونِ الأرضِ التي قيلَ فيها : فَسِيرُوا
زَرَعوا الأشواك .. والزّيوانَ
فأينَعَت حَمطاً وإثلاً
وملحاً , والحُطام .
كَيف لي بَعدها أن أغفُوَ
في ظلال عمودك .. يا (سمعان) ؟
وأنتَ تَعِظُ مِن أعلَى عزلَتك :
? ((المجد لله .. وفي الأرضِ السّلام))
قَد شَوّهُوا التّكبير مِن أعلى المَآذن
خَنَقُوا الأصوات .. في السّاحاتِ ..
وفي البراري والمَدائن ..
كلّ ما في الأمر , أصبحنا ننادي :
((دِمشقُ العروبةِ .. بيتُ حَرَام)) ..
أبَت وأَبينَا .. بِأن لا تُضَامَ ..

عامٌ كألف سنة

لم يَكُن عاماً .. بل هوَ دَهرُ
غادرَنا يَعرُج على قَدَمٍ واحدٍ
عِندَما تَساقَطَ الثّلج ..
ليلة الرّحيل ..
عمّ الحزن بديلاً عن الفَرَح
فَلا قَصفُ تَوقّف ..
ولَم نُغمِضِ الجّفون
ولا صَدرنا انشَرَح .
تَدافَع الجَمعُ تَحتَ مِزرابِ الرّحمَةِ
يَغتَسِلُون .. مِن بَرَكَاتِ السّمَاء ..
فكانت دماً أحمراً في ظلّ الكعبة
وأهلنا هناك بلا ماءٍ
جفّت حلوقهم بلا شربة مِن حفنةٍ .
(صحن) البيت الحرام
يغصّ بالطّائفين السّاعين
الملبّين ..باسمكَ اللّهُم
و (صحون) بطون أهل الغوطة خاوِيَة .
عامُ يَجيءُ .. وعامُ يُغادر .
نصفنا هنا .. ونصف نام للأبد ..
تحت أحجار المقابر .

نحل الدّبّ والعسل

ضلّتِ الطريق في عودتها
فقدت حاسة الشمّ لرائحة الشمع الأصفر درب
عطريّ واحد
تسلكه في الذهاب .. وفي الرجوع
عنه لاتحيد حتى وإن كانت عيونها مغلقة .
خليتها البوصلة المتنقلة
لاتعترف بالجهات الأربع واتّجاهات الريح ..
ولا بظلّ الزّوال .
تعبتِ الأجنحة المثقلة بغبار الزّهرِ ..
المحمولة على الأرجل والأيدي والصّدر .
هَرَبت الشمس من النّهار
ودسّت نصف رأسها بالرمال
فما النعامة بأفضل منها حالاً
لكنّ ريش النّعامات .. ناعم هَفهَاف

لايشبه شعر الدبّ الأبيض القادم بغلاظته .. من ((
بلاد الجليد)).
لَسعَتها المميتة .. لن تبعده
عن شلال العسل المسكوب ..
المُمرّغ بين مخالبه الغليظة المُقرِفة .
استعادت وصيّة أمّها الملكة
يوم أن عمّدتها واعتمدتها كجانية للزّهر من كلّ
الألوان.
وسالكة في كل الطرقات :
إن واجهت الخطر المميت .. فَمُوتي عزيزة
بعد ان تفرزي شوكتكِ ..
في بؤبؤ العَين ..
كي يضلّ الطريق الذي منه جاء (الرّوسي)
معتدياً .. أو منتحرا .

عَفوُكَ يا حَمدَانيّ .. يا أمير حلب

مَريض السّلّ في حلب
يبصُقُ دَمهُ النّازفُ ..
المحزون في رِئَتَيهِ
فَكَيفَ لا ينزف القلمْ ؟؟
قطرةُ من وَريدِهِ سَالتْ ..
تَكَوّرَت .. كَبِرَت
كَكُرَةِ الثّلجِ
في كَانونِ المُخَيّمْ .. والألَمْ .
عَبثَ بِها الأطفالُ ..
بين الخِيَامِ الزّرقاءِ المُمَزّقَة
نَحتُوها .. كَصَرحٍ .. وَمُقَامٍ
لِشَهيدٍ مجهُول الاسم .. وَالرّقَمْ .
آتُوني بِألواحِ إيبلا
وأثرٍ مِن أطلَالِ (الثّورِ المَجنّحِ) في بغداد

يَتَبَختَرُ على أمواجِ الفُرَاتِ ..
وَبعضِ الدّهاليزِ على النيلِ
مِن (خُوفُو) والهَرَمْ .
أتَهَجّى الرّقمَ المِسمَاريّة في (حَجَرِ رَشيد)
وعندَما اقتَرَبَتْ مِنّي سَكَرَاتُ المَوتِ
أسنَدتُ رأسي ..
على الوَجهِ الآخَرِ لِلصّخرةِ ..
فَاستعدتُ الرّوح .. فَوراً
من بَرَكَاتِ .. (أوغَاريت)..
وَ تَمتَمَاتِ (أورنينا)
صَاحِبَة الأغاني والنّغَمْ .
وَهَا قد عُدتُ إليكِ
للحيَاةِ مِن جديدٍ ..
لِأعلُوَ قلعَتكِ وأحرسُكِ ..
يا حَلَب الهِمَمْ .

دمشقُ العطشى

باهِتُ هذا الصّبَاحُ ..
وشمسي مظلمّة
فقطار الحَياة اليَومَ , قد يتوقّف ..
في محطّةِ المجهولِ الأسمَع .
لَم تَجتَمِع غُبيراتُ الطّلعِ
لِإيقاظي عِند الضُحى للوداعِ
لِتُبلسم الجَفنَ المُقَرّح ..
و لَم تَزُر خُجرَة المَدمَع .
مسافرُ أنا في غَدي
بين المحطّات .. والقطارات ..
والمطارات .. لم يَبقَ لي ها هنا مَرتع .
لَن أستفيق مِن حُلمِ اليَقظَةِ أبداً
منتظراً رحلَة الرّجُوع ..
فاليوم خميسُ .. لَكنّهُ الأربِعَاء ...

عن الأعلام والرايات

فرات نجيب

رَاهَنَ الثائرونَ السوريُّونَ على أنفسهم.. في مظاهراتهم السِلميَّة الأولى؛ مُستبدِلين عَلَمَ النظام.. بِعَلَم الاستقلال؛ وكان العَلَمُ الكرديُّ هو الوحيدُ الذي ارتفعَ مع عَلَمِ الثورة.. في مظاهراتِ الدرباسيَّة وعامودا والمالكية وسواها؛ وصولاً إلى جُمعَةِ: آزادي / حُريَّة؛ حتى مَنَعَ الفرعُ السوريُّ لحزبِ أوجلان؛ كُلَّ مُظاهَرَةٍ؛ وكُلَّ عَلَمٍ.. سوى عَلَمِه.

ثمَّ.. لا نعرف -والبعضُ يَعرِفُ- كيف ارتفعَ عَلَمُ « قطر » في مُظاهَرَةٍ ما؛ إلى جانب علم الثورة.. من باب النِكَايةِ؛ أو.. من باب الاستقواءِ بفضائيّة الجزيرة التي تفرَّغَت لثورات الربيع العربيِّ تباعاً؛ ربّما حَصَلَ هذا أيضاً في غوطة دمشق؛ أو في سِوَاها؛ كما.. في بنغازي الليبيّة لِمَرَّاتٍ عديدة؟!.

ثم ارتفَعَ في مظاهراتِ السوريين.. عَلَمُ « تركيا » ثمَّ.. العَلَمُ السعوديّ؛ بينما تَمَّ إحراقُ أعلامِ حِزبِ الله وإيران والعَلَم الروسيّ.. في مُظاهراتٍ مُتفرِّقة.

أن يرتفعَ عَلَمُ دولةٍ إلى جانبِ علمِ الثورةِ السورية.. في مُظاهرةٍ ما؛ حتى لو كانت خاطفةً؛ ليسَ دليلاً على أنَّ للثورةِ السوريَّة حُلفاءً؛ بل.. أولَ دلائلِ الاحتواء المُزدَوَج لثورة الشعب السوريِّ على طاغيته؛ وتلكَ سياسةٌ مَارَسَها الجميع؛ من أمريكا أوباما.. ذاتِها؛ إلى كُلِّ.. ما يُسمَّى بأصدقاءِ سوريا؛ بالإضافةِ إلى أعدائها.

لهذا.. تكرَّرت ثُنائيَّة الأعلام و الرايات أكثرَ من مَرَّةٍ؛ حتى اندسَّ أولُ عَلَمٍ للثورة مكتوبةٌ بين نجومِهِ الحمراء.. عِبَارةُ: الله أكبر؛ وصولاً إلى جُمعةِ: يا الله.. ما لنا غيرك يا الله؛ حينَ اكتشفَ المُتظاهرونَ السوريونَ خديعةَ الأصدقاءِ / الأعداء في كُلِّ جُمعَةِ مُظاهراتٍ.. تلوَ جُمُعةِ مُظاهرات؛ مَنذورينَ لرصاصِ الاستبداد؛ وهُم فيها: وَحِيدي وَحدِهم؛ سِوى.. من حناجرهم؛ وسوى.. من دَمِهم المُستبَاح وسطَ الصَمتِ العَاهِر؛ في الوقت الذي تمَّ فيه حِصَارُ الجَيشِ السوريِّ الحُرّ.. حتى باتَ المُقَاتِلُ فيه؛ المُنشَقُّ عن جيش الطاغية انحيازاً لثورة شعبه؛ لا يجدُ رصاصةً في مَخزنِ رشاشه؛ أو.. وجبةَ طعامٍ يأكلها؛ فيما فُتِحَت سجونُ الطاغية.. فخرجَ منها المُتشَدِّدون الإسلاميُّونَ.. إلى العَلَن: دعوةً جهاديةً وممارسةً تنظيميةً وفصائلَ قتاليَّة.. لا ترفع عَلَمَ الثورة السورية؛ بل.. تدوسُهُ وتُكَفِّرُه؛ كما فُتِحَت الحدودُ لكلِّ طالبانيٍّ وشيشانيٍّ أردنيٍّ وتونسيّ وسعوديٍّ.. الخ؛ ليعبروا منها إلى حيث ستصير سوريا ملعباً للتجَاذُباتِ الإقليميّة والدوليّة؛ وبُؤرَةَ استقطابٍ.. يَتِمُّ فيها تصفيةُ الحساباتِ على حسابِ الدمِ السوريّ؛ بما في ذلك الشَمَّاعَةُ الجاهزةُ عند الجميع: مكافحة الإرهاب؛ حين يُؤوِّلُها كلُّ طَرَفٍ على هَوَاه؛ وِفقاً لمصالحه ولأجَنْدَاتِه

ليس هذا.. من نظريةِ المؤامرةِ في شيءٍ؛ بل.. إنَّه توصيفُ ما جرى؛ من حيثُ يَعرِفُهُ أغلبُنَا؛ بل.. يتطَامَنُ عن نتائجِهِ كثيرونَ؛ صامتينَ عن تَحَوُّل الثورة السورية من مطالبها المدنيّةِ السِلميَّة.. إلى مُواجَهةٍ طائفيّةٍ - طائفيّة؛ و إقليميّةٍ - إقليميّة؛ برعاياتٍ دولية متعددة؛ حتى كاد عَلَمُ الثورة أن يغيبَ عن الميادينِ والشوارعِ والحاراتِ بفعل القصف الشديد والمجازر واستراتيجية التهجير المُنظَّم؛ كما استبدلَ مُقاتلونَ سوريّون كُثُرٌ عَلَمَ الاستقلالِ.. برايات جبهةِ النُصرَة وجيش الإسلام وأحرار الشام وسواها؛ ثمّ.. برايات داعش فيما بعد.

هل كان ذلك كلُّه.. نتاجَ استراتيجيةِ النظامِ الأسديِّ وَحدَهُ؛ في تحويل الثورة إلى حرب أهليةٍ وإلى صِرَاعٍ طائفيّ - طائفيّ؟!.

كلُّ من يُحمِّلُ النظامَ وحلفائه.. وَحدَهُم؛ مسؤوليةَ كلّ ما حصل من انعطافات؛ يُلغِي أحدَ طرفيِّ المُعادلة؛ وحتى أنَّهُ يُلغِي السيرورةَ الطبيعيّةَ للفعلِ ولِردِّ الفعل؛ بل.. إنّه يُلغي كلَّ جَدَليّةٍ؛ بما في ذلك.. أنّ أيَّةَ مُؤامَرَةٍ كانت؛ ستظلُّ فعلاً خارجياً.. ما لَم تَلقَ في الدَّاخل السوري استجاباتٍ لها؛ ومن الطبيعيِّ أن يستجيبَ النظامُ لأيِّ دعمٍ يأتيه من حلفائه.. حتى يُؤخِّرَ سقوطَهُ على الأقلّ؛ وليسَ من الطبيعيِّ أن تستجيبَ الثورةُ لأيِّ دَعمٍ يأتيها؛ فالسُمّ قد يكون في الدَسَم أيضاً؛ وبخاصةٍ لأنها ثورةُ شَعبٍ.. بلا حُلَفَاء؛ وهو ما اتضح للجميع لاحقاً.

ليسَ الآخرونَ هُمُ الجحيمُ.. دائماً؛ فنحنُ أيضاً.. نُسَاهِمُ في صُنعِ جحيمنا الذاتيّ؛ بل.. إن بعضنا يتغاضى عن كُلِّ نارٍ؛ مُعتقدينَ بأنَّ فيها.. خلاصاً؛ فإذا هو كالتحالُفِ مع الشيطانِ ذاتِه؛ حين تتمسَّحُ بعضُ المُعارَضةِ بجبهة النصرة؛ بل.. وتُغازِلُهَا عَلَناً؛ حتى يذهبَ النِفَاقُ.. وربما الغَبَاءُ؛ إلى حَدِّ مُناشَدَتِهَا بَفكِّ ارتباطِها بتنظيم القاعدة؛ وقد فكّته شكلياً؛ فأدرك هذا البعضُ استحالةَ فَصلِ رأسِ الأفعى عن جَسدِهَا؛ ولكن.. بعد فوات الأوان.

تشجبُ المعارضةُ مجازِرَ النظامِ الأسديّ؛ وتسكتُ عن تجاوزاتِ وانتهاكاتِ أمراء الحرب؛ وتتجلَّى الازدواجية تلك.. في الإعلام البديل « الحُرّ » الذي كَرَّسته المُعارضة؛ ثمَّ اختطفه أمراءُ الحربِ منها؛ فبينما يُطلِقُ هذا الإعلامُ مصطلحَ الاستيلاء على سقوط الرقّة بيد داعش؛ يُسَمِّي هذا الإعلامُ ذاتُهُ ما حصل في كسب: تحريراً؛ بينما تُسمّيه الفصائلُ الاسلاميّة: غزوةً !؛ ويُسمِّي هذا الإعلامُ سقوطَ إدلب بيد جبهةِ النُصرَةِ: تحريراً؛ فيما إعلامُ النُصرةِ ذاتُهُ.. يُسمِّيه: فتحاً مُبيناً!.

يَظل تستمرُّ حتى الآن.. تلك الازدواجيةُ في المصطلحات الإعلامية؛ حين تُطلِقُ مواقع ذاك الإعلام البديل «الحُرّ» على كلِّ الفصائلِ المُسلَّحة تسميةَ: الجيش الحرّ؛ حتى يومنا هذا؛ إذ يبدأ الخبر بالكليشيه المُعتادَة: الجيش الحرّ يستعيد «خان طومان» أو سواها؛ من النظام أو من الميليشيات الإيرانية؛ وفي مواقع أخرى: من الميليشيات الشيعية / النصيريّة؛ وبعضها: من الرافضة والخوارج الفرس؛ ثُمَّ في مَتنِ الخبر.. نَجِدُ أنَّ الذي استعاد «خان طومان» أو.. فَتَحَ غيرها من البلدات والقرى؛ ليسوا من الجيش السوريّ الحرّ؛ ولا يَجِدُ هذا الإعلامُ البديلُ غَضَاضَةً بعد كليشيه الجيش الحُرِّ في العنوان؛ أن يقولَ: هذا وقد استعادت جبهة النصرة.. كذا؛ أو حَرَّرَ جند الأقصى؛ أو حركة المُثنى؛ أو.. يدورُ قتالٌ الآنَ بين النظام وأحرار الشام؛ أو.. بينه وبين جيش الإسلام.. الخ.

عدمُ تسمية الأمور بمُسَمّياتها تضليلٌ هزيلٌ.. حتى لا نقول: انتهازية واسترزاقاً؛ لأنّ لتلك الفصائلِ أسماؤها ورايَاتُهَا المُعلَنَة؛ بل.. إنها ضِدَ ما تبقّى من الجيش الحُرِّ ذاته.. علانيّةً؛ وعلى الأرض؛ كما حصلَ ويحصلُ في معرَّة النعمان وجبل الزاوية؛ وكما في حلب خلال الملحمة الكبرى؛ ثمّ خلال مقتلتها الكبري

سؤالٌ أخير: هل هناك بينَ الفصائلِ الإسلاميَّة التي تُقاتِلُ النظامَ.. فصائلُ مُعتدِلة ؟!

ومن.. سيقولُ: - نعم.

سأقولُ له: أعداءُ المُعتدِلِينَ في ثورتنا.. طرفانِ معاً: النظامُ وأمراءُ الحرب.

«إن يكن للمصادفات شأن في حياة الكتب، فهذا الكتاب ابن المصادفة» (مالك بن نبي: مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق - ٢٠٠٦ مراجعة وتدقيق الوزير اللبناني السابق عمر مسقاوي).بهذه الكلمات البسيطة قدم مالك بن نبي (١٩٠٥ - ١٩٧٣) لكتابه «مجالس دمشق»، وهو الأخير في سلسلة مشكلات الحضارة التي بدأها بباريس ثم تتابعت حلقاتها في مصر فالجزائر، والتي سبق ان صدر منها زهاء سبعة عشر كتاباً مثل: «بين الرشاد والتيه» و «الصراع الفكري في البلاد المستعمرة» و «الفكرة الافريقية - الآسيوية» و «فكرة كمنولث إسلامي» و «مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي» و «وجهة العالم الإسلامي».

وقد أمعن مالك بن نبي في جميع كتبه الثمانية عشر التي أصدرتها له دار الفكر في دمشق، في الحفر حول مشكلات التخلف المزمنة، متجاوزاً الظواهر الطافية على السطوح، الى الجذور المتغلغلة في الأعماق، وباحثاً عن السنن والقواعد والقوانين التي تكفل للشعوب ان تتحول عن الكلالة والعجز الى القدرة والفاعلية. وبذلك يكون مالك بن نبي قد تجاوز مشكلة الاستعمار ليعالج مشكلة «القابلية للاستعمار»، ومشكلة التكديس الى البناء والحق الى الواجب، وعالم الأشياء والأشخاص الى عالم الأفكار، مؤكداً (إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (سورة الرعد، الآية ١١)، وأن مفاتيح الحل عند الذات لا عند الآخر.

زار مالك بن نبي دمشق عام ١٩٧٢، كما يظهر من مقدمة الكتاب. وذلك بعد الحج وبعد رحلة الى السعودية استغرقت شهراً ونصفاً. وعندما وصل الى بيروت في طريق العودة الى الجزائر، وهو بصحبة كل من زوجته وابنته «رحمة» صغرى بناته، راودته نفسه ان يطلع «رحمة» على بعض معالم الحضارة الإسلامية بدمشق، فقرر السفر إليها ليقضي فيها يومين أو ثلاثة. وإذا به يقضي في مجالسها زهاء ثلاثة أشهر، قضاها في حوار مستمر مع شباب دمشق المسلم، الذين سارعوا الى تسجيل مجالسه على مسجلاتهم. ثم كانوا ينقلونها كتابة ثم يبيضونها، «حتى صيروها هذا الكتاب» كما يقول بن نبي نفسه، والذي أرّخ للمقدمة التي وضعها لهذه المجالس في بيروت ١٩٧٢/٨/١٣.

ويبدو لنا من المقدمة الثانية للكتاب والتي كتبها الوزير اللبناني السابق الأستاذ عمر مسقاوي ان كتاب «مجالس دمشق» كان قد ورد في قائمة الكتب التي كتبها مالك بن نبي والتي أصدرها بناء على وصية بن نبي نفسه. غير ان الأستاذ عمر مسقاوي ذكر ان مخطوط «مجالس دمشق» لم يصل الى يده إذ كان بن نبي جمعه وهو في دمشق ونقحه، ثم تعاقد مع دار الشروق لكي تنشره كتاباً وهذا ما يفسر سر توقيعه في بيروت لا في دمشق. وقد ضم الكتاب في صدر صفحاته الأولى صور الوثائق التي خولت مسقاوي الإشراف والتدقيق والنشر لكتاب «مجالس دمشق»، كما لسائر كتب بن نبي السابقة.

الثقافة والأزمة الثقافية

تضم «مجالس دمشق» ست محاضرات في مشكلات الحضارة المعاصرة ودور المسلمين فيها. وقد تحدث بن نبي في المحاضرة الأولى، والتي كانت عبارة عن لقاء مفتوح مع الأخوات في مسجد صلاح الدين في ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٧٢م، عن مفهومي (القابلية للاستعمار والحضارة -الإسلام). وفي هذه المحاضرة اشار مالك بن نبي الى ان سبب تأخر المجتمع الشرقي هو تعطيل الفكر لا وجود الاستعمار. وسنعود لمناقشة هذه المسألة، حين ننتهي من عرض موضوعات الكتاب، نظراً لجديد هذه الفكرة وجديتها وحداثتها معاً في آن. اما في المحاضرة الثانية التي ألقيت في الجامعة السورية بدعوة من كلية الشريعة في آذار (مارس) ١٩٧٢، فقد كانت بعنوان: «الثقافة والأزمة الثقافية»، والتي بناها على فرضيتين: ١- سوء إدراك مفهوم الثقافة، و٢- خلل التطبيق. فبين وضع الثقافة في المجتمع المسلم، وأثر المجتمع في ثقافة الفرد، بما هي ثقافة حياة لا ثقافة موت. وفي المحاضرة الثالثة التي ألقاها في مسجد المرابط ١٩٧٢، تحدث عن الحقوق والواجبات وتلتها مناقشة وحوار مع الحاضرات من السيدات. وبيّن مالك بن نبي أثر فهم المجتمع لها في نمائه سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وشرح لهن ان المجتمع الآخذ في الارتقاء، يقدم الواجبات على الحقوق.

في المحاضرة الرابعة: «المرأة والرجل أمام واجبات واحدة» والتي ألقاها في مسجد المرابط بدمشق ١٩٧٢، تحدث بن نبي عن أوضاع المجتمع المسلم ومتطلبات النهوض به وإنقاذه. اما في المحاضرة الخامسة وهي بعنوان: دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين والتي ألقيت في رابطة الحقوقيين في آذار ١٩٧٢، وفي المحاضرة السادسة: «رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين» فقد مهّد بن نبي بالحديث عن اهمية احداث القرن المشار إليه، وما يتصف به من التغيرات العميقة، وما حدث فيه من مخاطر مزقت الشباب وأدت الى إفلاس الحضارة الحالية والأديان القائمة وانهيار الأخلاق والقداسات وافتقاد الروحانيات.

يضم "مجالس دمشق" ست محاضرات في مشكلات الحضارة المعاصرة ودور المسلمين فيها. وقد تحدث بن نبي في المحاضرة الأولى، والتي كانت عبارة عن لقاء مفتوح مع الأخوات في مسجد صلاح الدين في ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٧٢م، عن مفهومي (القابلية للاستعمار والحضارة - الإسلام).

ومن هنا يبرز واجب المسلم الذي يحمل رسالة إنقاذ نفسه وإنقاذ العالم من الضياع. كذلك فرّق اخيراً بين الدين والرسالة. وفي سبيل الرسالة نفسها طالب بن نبي الرجل المسلم بأن يعرف نفسه، ويعرف الآخرين، وأن يُعرّفها للآخرين. وأن يرتفع الى مستوى الحضارة، التي هي فوق مستوى

الحضارة الحالية. أي الى مستوى ثقافة الحياة التي هي أعلى بكثير من ثقافة الحياة التي تنتجها الحضارة الغربية، كما هي بالتالي نقيض ثقافة الموت أو ثقافة فقه الموت التي تنتجها الحضارة الأخرى من خلال ولاية الفقيه، أو من خلال إمارة الشخصية النمطية التي عممها بن لادن في ١١ أيلول (ديسمبر) ٢٠٠١، وكأنه كان ينبه الى الظاهرة المثيرة التي ستظهر في ما بعد في مطلع الألفية الثالثة والتي تفرزها المدن الإسلامية بقوة في شوارعها أو ضواحيها الفقيرة أو في الأرياف التي هي أكثر فقراً أو التي تمثل مظاهر عدة للعنف الحضري مثل السرقة بالإكراه والمخدرات والاغتصاب والدعارة، فضلاً عن الهجرة غير المأمونة التي يسميها المغاربة «الحريق» لأن المهاجرين غير الشرعيين على متن القوارب الصغيرة يحرقون انفسهم ويحرقون المسافات. إذ لا بد لهذه الظاهرة المثيرة والتي

يحذّر مالك بن نبي في "مجالس دمشق" من أن نعمل من دون ان ندري - على عودة الاستعمار إلينا مجدداً بعدما أضعنا قرناً في معالجة هذا المرض. وفي رأيه ان الاستعمار لم يكن من خارج استعدادنا لاستقباله. وهو بعد ان غادر أوطاننا، نشعر بأن الأوضاع الاجتماعية أو الخلقية أو الثقافية أو الدينية أو الإنسانية لم تتغير بطريقة جوهرية.

تتجسد في العنف الحضري ان تستغل على يد جلاوزة الإنسانية لجعلها تنخرط في ما يُعرف بفقه الموت أي العمليات الانتحارية.

وفي رأي الباحث قصي حسين ان الأستاذ عمر مسقاوي الذي وقف أكثر من أي باحث آخر على تراث بن نبي الفكري والديني، وفق بالوصول الى النتائج التالية: إن هناك محنة تخلف نمر بها، وأن ما أورثنا إياه هذا التخلف هو من صنع ايدينا، لأنه حصاد أمراض اجتماعية. فكثرة التعبد والدعاء لا تغني عن القيام بالواجبات، لمواجهة هذه الأمراض. وهذه مسؤوليات تتطلب رؤية في مساحة العالم كله ودورنا فيه. ومعطيات العمل الإنقاذي إنما يرتكز على امن المجتمع، وهذا يتطلب انخراط ابنائه في انتظام ثقافي وحضاري معاً على حد سواء. كذلك فإن رؤيتنا يجب ان تكون في حجم العالم كله، وعدم الركون مطلقاً الى ذاكرة متعالية عن مشكلات الواقع، لأن نهر التاريخ وصل الى مصبه في مسيرة الثلث الأخير من القرن. أما صلاحية الإسلام لمستقبل العالم، فهي بمقدار ما تقدم للعالم من حضور وإسهام، وهو امر مستقل عن صحة الإسلام حقيقة إلهية، غير انه يفقد صلاحيته في العالم إذا أغفل المسلمون طريقة استعماله اداة حضارة وعمل وبنيان على مستوى العالم أجمع.

ويحذّر مالك بن نبي في «مجالس دمشق» من أن نعمل من دون ان ندري – على عودة الاستعمار إلينا مجدداً بعدما أضعنا قرناً في معالجة هذا المرض/ الاستعمار. وفي رأيه ان الاستعمار لم يكن من خارج استعدادنا لاستقباله. وهو بعد ان غادر أوطاننا، نشعر بأن الأوضاع الاجتماعية أو الخلقية أو الثقافية أو الدينية أو الإنسانية لم تتغير بطريقة جوهرية، بحيث تمنع عودته إلينا، بل تمهّد له في بلادنا، كما حدث في العراق وفي لبنان وربما في أوطان أخرى، كما نراه يستشرف ذلك في آفاق رؤيته لمدى مساهمتنا في القابلية للاستعمار.

المجتمع المغولي في القرن السابع للهجرة دام سبعين سنة، وانتهى دوره في التاريخ، برأي بن نبي، لأنه ليس بمجتمع متحضر، لقد دمر الطاغية العالم، خصوصاً العالم الإسلامي، غير انه تقوّض حتى ابتلعته المجتمعات المتحضرة. لأن مصير الشعوب يرتبط بالمجتمع المتحضر لا بالمجتمع البدائي المغولي أو الصفوي.

فالمجتمع المغولي في القرن السابع للهجرة دام سبعين سنة، وانتهى دوره في التاريخ، لأنه ليس بمجتمع متحضر، لقد دمر الطاغية العالم، خصوصاً العالم الإسلامي، غير انه تقوّض حتى ابتلعته المجتمعات المتحضرة. لأن مصير الشعوب يرتبط بالمجتمع المتحضر لا بالمجتمع البدائي المغولي أو الصفوي. ويرى مالك بن نبي ان المسلمين معرضون للتلف إذا لم يدخلوا المعركة الاجتماعية الحضارية، بسبب تفجر وسطهم الاجتماعي ومحيطهم الاجتماعي العام الطبيعي، فمجتمعهم نفسه سيتمرد عليهم لاحقاً، بسبب القيادة الدينية التي لا تعمل على رفع المسلم الى مستوى الحضارة بحيث يسلك جوهر الحضارة.

موت الخوف

مصطفى تاج الدين موسى

صمتٌ كثيف يتجول بلا مبالاة بينهما، لا شيء يعكره سوى صوت المذيع وخفقات مضطربة لقلبها. مرّ على وقوفها بجسدها الصغير جانب الباب بضع دقائق، خُيِّل لها وكأنها سنوات.

هو.. يرمق بحدة شاشة التلفاز متسلياً بتدخين سيجارته، وهي.. التي لم تتجاوز بعد سنتها السادسة عشرة تراقبه مرتبكةً. بعد كل ذلك الصمت همست له بكلمات متقطعة :

- أرجوك.. فقط لليلة واحدة.. أنا لا أجرؤ.. ساعدني.. أعدك.. غداً سأصنع لك الغداء الذي تحبه..

- أنا لست خادماً عندك.. الآن ليس لدي وقت لك، اذهبي من هنا.. ثم قد وعدت أمي أن أتناول عندها غداء الغد..

عيناها المخلوقتان من خجلٍ وخوف توسلتا لوجهه المتجهم. كعصفورٍ - تلقى في صدره رصاصة - مال رأسها أثناء وقوفها جانب باب غرفة الجلوس.. تمنت في سرها - خلال دعائها - أن يساعدها. هو المضطجع على جانبه فوق الأريكة بكسل أمام التلفاز، لم يكترث مطلقاً لحزن وجهها وتوسلاته، وكأنها ليست الفتاة الصغيرة التي زوجته إياها أمه منذ شهرين وثلاثة أيام. سعلت من دخان سجائره، ثم تمتمت بصوتٍ رقيق:

- أرجوك أنا خائفة.. تعال واستلق جانبي لدقائق.. بعد أن أغفو ارجع لنشرات الأخبار.. أنا خائفة جداً ولا أستطيع أن أنام وحيدة.. أنا ولا مرة رفضت تنفيذ أيٍّ من طلباتك.. أرجوك..

أطلق على كلماتها زفرةً حادة، ثم صرخ بها وعيناه ما تزالان معلقتين على شاشة التلفاز.

- كل ليلة تغنين ذات الموال المزعج، تخيلي أنني سافرت.. عليك أن تعتادي على النوم وحيدة.. سنمضي مع بعضنا سنواتٍ كثيرة، لا أريد أن تكون كل ليالي حياتي مزعجة بسببك.. لو أنّ أمي كانت تعرف أنك هكذا لما زوجتني لك..

هيا.. اذهبي إلى السرير..
كلمة سنوات فجرت داخل روحها قلقاً يكفي لاضطراب كل أرواح سكان المدينة. صمتت لثوانٍ ثم بكت بصوتٍ مخنوق، عندما شعرت أن شاشة التلفاز أنسته وجودها جانب الباب.
- لكنني أخاف..
همست.. فتذكرها، نظر بحنقٍ إلى وجهها وصاح بغضب:
- ممَّ تخافين..؟ احذري.. كلامك هذا مهين جداً.. ألا يوجد رجل في هذا البيت..؟ أم إنني شبح..
مسح رذاذ لعابه عن شفتيه، رجعت عيناه إلى شاشة التلفاز، ثم أردف وكأنه يتحدث مع الشاشة:
- كيف كنت تنامين قبل أن أتزوجك..؟
رفعت رأسها ونظرت إليه، ابتسمت كطفلة وقالت بسرعة:
- كنت أنام مع جدتي وأختي في سريرٍ واحد.
- إذن اذهبي، وتزوجي جدتك أو أختك.
تبخرت ابتسامتها عن وجهها الذي اعتاد على هذا منذ يومهما الزوجي الأول، لا شيء يجيده زوجها سوى شنق الابتسامات التي تشرق على وجهها صدفة. رمقها بطرف عينه ثم عبّ من سيجارته وقال:
- اذهبي واصنعي لي فنجان شاي، أفضل من وقوفك هكذا مثل شرطي المرور.
أسرعت إلى المطبخ وأعدت بسعادة فنجان شاي، ثم حملته وهمست باطمئنان في سرها لتركل قلقها بعيداً:
- سيشربها خلال دقائق بعدها.. سيأتي لينام معي..
وضعت له فنجان الشاي على طاولةٍ صغيرة أمامه، وجلست على الأريكة جانبه، سألها:
- منذ قليل قلت: إنك تريدين النوم.. هل غيرت رأيك.؟
مرةً ثانية ابتسمت كطفلة، وقالت له بدلع:
- سأنتظرك حتى تشرب فنجان الشاي.. ثم نذهب معاً إلى السرير..
لم تحتمل أعصابه مساحة ابتسامتها الواسعة، والتي فجرت غيظه.. أمسكها من ساعدها.. شتمها ودفعها بعنف.. هي، ركضت منكسرة الجناح إلى باب غرفة النوم مع دموعها، وقبل أن تصفع الباب في وجهه. صرخت بقهرٍ تهدده:
- هذا آخر فنجان شايٍ أصنعه لك..
صفعت الباب

واندست في سريرها لتصغي لصوت بكائها المخنوق، ولضجيج قلبها الذي كان يخفق بخوف. قالت وهي تشهق من بين دموعها لنفسها:
- هذا آخر فنجان شاي أصنعه له في حياتي..
ثلةٌ من الأشباح راحت تقفز عن الحيطان، وكأنها عصابة قاطعي طرق، ثم التفت حول سريرها وراحت ترقص بصخبٍ جنوني رقصة الهنود الحمر حول نارهم تارةً، وتارة كانت تقهقه وهي تستلقي بشكلٍ فوضوي على أرض الغرفة كالبلهاء. انكمش جسدها الصغير تحت الغطاء، خافت كثيراً فحضنت الوسادة متشبثةً بقماشها، حتى لا تستطيع أيدي الأشباح خطفها كما كانت تتخيل. لساعاتٍ طويلة من هذا الليل وقلبها يرتعش فزعاً، كانت أول ليلةٍ في حياتها تستلقي وحيدةً في ظلمة ما قبل النوم.. من أسفل الغطاء صرخت لجدتها ولأختها ثم لأمها، لكن ولا واحدة منهن استجابت لندائها. جدتها وأختها النائمتان الآن على سريرهما في منزلهم الفقير في ذلك الحي البعيد عنها. وأمها التي رحلت منذ سنوات إلى العالم الآخر.. ضجيج الأشباح أنهك روحها، وكان أن ملت بعد ساعات من البكاء الصامت، وأصابها اليأس من أن أحداً ما قد يأتي الآن وينقذها، فشعرت بالتعب يخدر خلاياها. قبل بزوغ الفجر بدقائق..
تناهى لأذنها صوت جلبةٍ خفيفة جاءت من غرفة الجلوس. لكنها تثاءبت بهدوء، تثاءبت ثانيةً.. تبخرت ضجة الأشباح لترجع الغرفة إلى سكونها.. بدأ جفناها بالارتخاء فأسدلتهما على عينيها، عندئذٍ خطف النوم كل حواسها فغفت بعمق.
أثناء نومها الهادئ رأت نفسها تركض حافيةً مع ضحكاتها والعصافير تحط على كتفيها، بين أشجار حديقة منزل عائلتها. ثم جلست قليلاً على أرجوحةٍ صنعتها لها أمها قبل سفرها إلى العالم الآخر بأيام، لتلهو بها مع أختها. حلَّ المساء فدخلت مع أختها غرفة جدتهما، لتستمعا بلهفة إلى حكاية جميلة، من تلك الحكايات المسائية التي تجيد الجدة روايتها. استيقظت - وكان الوقت ظهراً - على أنغام بضعة عصافير، كانت تلهو بأن تنقر زجاج نافذة غرفة النوم. لتتذكر أنه ذات حكاية قالت لها جدتها في مساءٍ بعيد:
- عندما تقف العصافير على نافذتك وتغرد.. فهذا يعني أن شيئاً ما جميلاً سيحدث لك..
استنشقت نفساً عميقاً، وتمطت قليلاً بنشوة أخاذة، شعرت بسعادة غامضة لكنها عذبة، سعادةٌ تسري كنهرٍ في كلّ شرايينها. لم تصدق للوهلة الأولى أنها استطاعت أن تنام، دون أن تشاهد كابوساً.. غمرت روحها غبطةٌ عميقة.. فغاصت بها.. ابتسمت بهدوء وهي مستلقيةٌ على سريرها، و أخذت تدندن بشفتيها الناعمتين لحناً هادئاً.. استدارت ببطء فلم تشاهده جانبها.. هبطت منتشيةً عن سريرها، ومشت إلى غرفة الجلوس. تمتمت بفرح في سرّها:
- سأخبره أنني تعلمت النوم وحيدةً بلا خوف.
وتخيلت نفسها على الشرفة تعطيه فنجان الشاي، وتبوح له بسرها هذا، ثم تخيلت أنه لن يصدقها. فتحت باب غرفة الجلوس، فسمعت صوت التلفاز، استغربت.. ثم شاهدته مستلقٍ بشكلٍ فوضوي على الأرض كأبله.. أسفل شاشة التلفاز، بوجهٍ شاحب وجفنين نصف مفتوحين. انحنت إليه وهزته من كتفه لكنه بقي صامتاً، تأملت ملامحه، على غير عادتها لم تكن تعابير وجهه متجهمة. داعبت بإصبعها الناعمة وجه زوجها الأربعيني، علَّها تنقذه من هذا السكون.. زوجها الذي كان قبل بزوغ الفجر بدقائق، قد سقط عن الأريكة، جانب طاولةٍ عليها آخر فنجان شاي شربه في حياته.

مجلة - شهرية - مستقلة

السنة الرابعة- العدد 40 شباط / فبراير 2017